والقمح، أو أية ضروريات أخرى، وقام الويلزيون على كل حال باستغلال انشغال الملك واهتمامه بنزاعه مع نبلاء سكوتلندا، الذين كانوا قد رفعوا رؤوسهم ضدهم، وذلك مع أسقف درم، الذي استدعي للظهور في بلاط الملك، فرفض بتمرد المثول هناك، وكدس الأذى فوق الأذى، فزاد الويلزيون من أعمال نهبهم، وخرقوا وتوغلوا خلال حدود ويلز واجتاحوها للتزود بما كانوا بحاجة إليه.

## *كيف جرى حشد فرسان إنكلترا ضدّ الويلزيين*

وفي حوالي الوقت نفسه، دعا الملك جميع فرسان انكلترا بوساطة مذكرة ملكية، وأمرهم بأن يكونوا جاهزين مع الخيول والسلاح، من أجل القيام بحملة عامة على ويلز، وسحق الويلزيين واجتياح أراضيهم إلى حد تدميرها كلياً، وعندما جرى استدعاء الفرسان، عبروا عن أساهم، لأنهم غالباً ماخضعوا للخسارة، وظلموا بنفقات بلافائدة.

## *البارلمان الذي عقد في لندن*

في اليوم الذي جاء بعد يوم الثلاثاء، الذي يعرف بشكل عام باسم Hokeday, تمّ عقد بارلمان في لندن، لأن الملك كان مضغوطاً عليه بالقلق حول قضايا كثيرة صعبة، كان من بينها قضية مملكة أبوليا، التي حولها وبشأنها، جرى بعث المعلم هيرلوت بمهمة خاصة، ليحصل على جواب حاسم حول القضية، وعلاوة على ذلك طولب الملك بمبلغ كبير من المال، لدفعه ربط البابا نفسه ببعض التجار، وذلك لصالح الملك، وبناء على طلب ملح منه، وكان الملك مغلولاً بعقوبات ثقيلة، ثقيلة إلى حد أنني أعتقد أنه عمل غير كريم الاتيان على ذكرها، وكان مبلغ المال المطلوب ضخماً جداً، سوف يسبب الدهشة والرعب لكل من يسمع برقمه، وحزن نبلاء المملكة حزناً كبيراً، لأنهم أنزلوا إلى حالة الدمار هذه، بسبب السذاجة المتناهية لرجل واحد.

وكـان الملك —علاوة على ذلك— شـديد الغضب بسبب الويلزيين، الذين تفاخروا بأنهم آذوه مراراً وتكـراراً، وصدوه مراراً مع جيشه كله، وأنهم غالباً ما حصلوا على النتيجة الأفضل في القتال عندما واجهو نبالة انكلترا كلها، وأضـاف إلى غضبه وحنقه، أنه سمـع، أنه مع انتهاء الهدنة في حـوالي أيام عيد القـديس ايلفيجي Elphege, بأنهم استأنفوا نظامهم في النهب، والقتل، والحرق، وأنهم عملوا غارات نفذوا فيها إلى كونتيه بمبروك Pembroke, حيث قتلوا عدداً كبيراً من السكان بشدة كبيرة، وأنهم كدسوا الاهانات، وسـوء المعاملة على الذين سمحوا لهم بالنجاة بأرواحهم، وحول هـذه الإجراءات اشتكى وليم دي بلنسية بصـورة ثقيلة إلى الملك، وعليـه ردّ الملك قـائـلاً: «أنفق ياأخي الحبيب بعضـاً من المال الذي تملك منـه كميـات كبيرة، لتنتقم لأضرارنا»، لكن وليم اكتفى فقط بتكديس التهديدات فـوق التهديدات، وأضاف الإهانة إلى الإهانة، وأعلن بأن هذه الأشيـاء كلهـا قـد وقعت بناء على مـوافقـة ورضا الانكليز الخونة، وبعد وقت قصير فصّل مـا كان تفوه به من قبل باضطراب، وقدمـه بمثابة ملاحظـة عامة، وشعـر تجاه هذه التهمة ايرل غلوستر وايرل ليستر بكثير مـن الخجل والغضب، ومع ذلك تـابع وليم التفـوه بالسباب ضـد ايرل ليستر، وتجرأ بحرارة أكبر بشكل مكشـوف، وبحضـور الملك والنبلاء، على التأكيـد على أن الايرل كـان خائناً قـديماً وكـذاباً، وأمام هذا إلتهب الايرل غضبـاً وسخطاً، وردّ قائـلاً: «لا، لا، ياوليم، أنا لسـت ابن خـائـن، كما أنني لست نفسي خـائناً، ووالدينا لم يكونا مثل بعضهما»، ثم إنـه رغب بأخـذ انتقـام مبـاشر تجاه هذا الأذى الكبير، وسعى لكي ينقـض على وليم، لكنه منع من قبـل الملك نفســه، الذي فصـل بينهما، ولكن بصعـــوبة كبيرة، وهكذا هدأ غضـب الايرل لبعض الوقت.

وسوف لن تكون مسألة سهلة إحصاء المضار التي اقترفت في جنوب

ويلز، أثناء الصراع الأخير ضد الويلزيين، ويكفي أن نقول، بأن الذين كانوا المنتصرين، وضعوا داخل الملح القمح والحاجيات الأخرى الضرورية، التي كانوا من قبل بحاجة إليها.

## اجتماع الفرسان للزحف ضدّ الويلزيين

في اليوم التالي وخلال الأيام التي تلته عقد الملك والنبلاء مداولات دقيقة، حول كيف ينبغي عليهم القيام بسحق تمرد الويلزيين، وكيف يمكنهم ذلك، وايقاف غاراتهم المتوالية، وبناء عليه جرى حشد كل جماعة الفرسان، من أجل أن يقوم الذين عليهم التزام تقديم خدمة فروسية إلى الملك، بتجهيز أنفسهم بالخيول والسلاح، وأن يكونوا جاهزين في شيستر، ليسيروا وراء الملك في حملة إلى ويلز، في يوم الاثنين قبل عيد ميلاد القديس يوحنا المعمدان، ونتيجة لذلك تمّ سماع الكثير من الاشاعات والشكاوي بين الناس، لأن الملك قام مراراً وتكراراً بافقار نبلائه وانهاكهم من دون كرامة أو ربح، وذلك عن طريق طلب ضريبة الخدمة العسكرية مراراً كثيرة منهم، وازعاجهم لدى اقتراب موسم الحصاد، خاصة عندما كانت مجاعة غير اعتيادية قد دمرت كثيراً من الناس.

وأولى الملك قليلاً من الاهتمام لمخاطر المملكة، ومع أنه كان مجرداً تماماً من المال، وكان على وشك الانخراط فوراً في حرب، قام الآن وبكل سرعة بدفع ألف مارك إلى توماس أوف سافوي الذي كان من قبل كونت فلاندرز، والذي وصل مؤخراً محمولاً على محفة، حيث كان في وضع صحي متدهور، كما أنه أعطى مائتي مارك إلى أحد البواتيين، الذي كان يخدم بالعادة على المائدة الملكية، ويقوم بتقطيع اللحم له، ولم يهتم هذان بالمخاطر الكبيرة التي كانت المملكة عرضة إليها، فتسلما جميع أعطياته بأيدي مفتوحة.

وما أن شعر توماس بأن حافظة نقوده قد امتلأت، حتى قام بوداع الملكة (التي لم يرفض أعطياتها مثلما لم يرفض أعطيات الملك)، وعاد على الفور إلى القارة، بقصد تدمير مدينة تورين، من دون اهتمام بالرهائن الذين كانوا محبوسين هناك، وكان اسم البواتي المتقدم الذكر وليم دي سينت هرمس Hermes, الذي لم يقم بالمغادرة في الوقت الحالي، بل بقي متوقعاً هدايا أكثر.

## تكريس روبرت دي تشوز أسقفاً لكارلآيل

في يوم عيد القديس تيبورتيوس Tiburtius وأصحابه، جرى تكريس المعلم روبرت دي تشوز Chause, الذي كان كاهناً للملكة، أسقفاً على كارلآيل من قبل أساقفة: باث، وسالسبري، وبيرموندسي Bermondsey, في لندن.

## وفاة رئيس أساقفة أرماغ

ومات في الأسبوع نفسه في لندن رئيس أساقفة أرماغ Armagh, وهو الذي كان من قبل عميد كنيسة القديس بولص.

## اضطرابات رئيس أساقفة يورك

وفي حوالي الوقت نفسه أيضاً، ألقى البابا يده الثقيلة على رئيس أساقفة يورك، الذي كان وضعه بالنسبة إلى العالم قد تأذى كثيراً، لكنه تحسن كثيراً في نظر الرب، لأن صبره قد ازداد تناسباً مع أعمال التنكيل المضاعفة له، وهكذا بات مستعداً للاستشهاد في سبيل تحقيق نبوءة القديس ادموند رئيس أساقفة كانتربري، وفي الحقيقة لقد قرأنا بأن كثيرين قد تسلموا تاج الشهادة من دون سفك دمائهم، لأنه بالاضافة لكثير من الذنوب اقترفوها بحقه، حرموه الآن من امتياز حمل الصليب أمامه من قبل كاهنه الرئيسي، حسبما جرت العادة، ومع ذلك استمر يرفض الركوع أمام بعل، وأن يتخلى عن المنافع الرئيسية لكنيسته لأناس

غير جـديرين، لابل أجـانب غير نظيفين، مثل الذي يـرمي اللآلىء إلى خنزير.

## كيف هوجم أسقف هيرفورد بمرض تمعط الجلد

تعـرض أسقف هيرفـورد لزيارة تفقـديـة من قبل الرب، فقـد تشـوه بأكثر الأمـراض قذارة، الذي يدعى تمعط الجلـد، وذلك نتيجة لأضراره الخيانية لمملكة انكلترا كلها.

## كيف أعطى إدوارد عزبه إلى وليم دي بلنسية

تخلى ادوارد الابن الأكبر للملك عن أراضيه وعن العزب الغنية، التي كـان قـد تلقـاها هدية من أبيـه، وهم: عـزبتـا ستـانفـورد Stanford, وبراهام Braham وعـزب أخـرى كثيرة، وتركهم معـروضين وكأنهم للضمان بعهدة وليـم دي بلنسية، الذي امتلك كميـات وافرة من الأموال، وفعل ادوارد ذلك حتى يتمكن بهذا من الحصول على المساعدة التي كان يحتاجها، ولارضـاء شره عمه وحبه للمال، وسبب هذا الإجراء نذير شـؤم محزن بالنسبـة لمستقبل الاثنين، لأنـه بالنسبـة لوضع الشـاب، أظهر أنه عندما سيصل إلى السلطة الكاملة للمملكة، سوف يضيع ويبدد ثرواتها، وبالنسبة لقضية وليم، أنه سوف يتم تجريده من ثرواته الخيالية.

## وصول الراهب الفرنسيسكاني مانسيوتوس في مهمة من البابا

وحـوالي الوقت نفسـه وصل إلى انكلترا، بناء على مبـادرة من الملك، راهب من طائفـة الفـرنسيسكان اسمـه مـانسيـوتوس Mansuetus, وقـد أرسل مـن قبل البـابا، مـزوداً بسلطات كبيرة، وقـد تبع خطوات المعلم هيرلوت، وكانت سلطاته في الحقيقة، قد وصلت إلى درجة —كما قيل— أنه قام بتحليل شيعـة الملك، أياً كانوا، عندمـا كانوا يودون تغيير تعهداتهم [بأن يكونوا صليبيين]، أو عندما جـرى حرمانهم كنسياً، لابل حتى تسـويغ المتكلمين زيفـاً والحانثين بأيمانهم، ونتيجـة لـذلك امتلك

كثيرون الجرأة والوقاحة في اقتراف الذنوب، لأن سهولة الحصول على الغفران أعطت سبباً لاقتراف الذنوب، لكن فيما بين العقلاء والأشخاص الحكماء قد أعطى هذا وسبب نشوء الاستهزاء والسخرية، كما سوف تظهر الرواية التالية بشكل كامل.

## *الجواب الذي أعطي من البارلمان إلى الملك*

وانعقد البارلمان الذي تقدم ذكره في هذا الوقت، وقام الملك بالمطالبة بسرعة وإلحاح بمبلغ كبير من المال من أجل الانفاق على شؤونه في أبوليا، وفي سبيل متابعة مشاكل أخرى صعبة، وقام النبلاء على الفور بالاجابة بثبات وبالاجماع، بأنهم لايستطيعون الاستجابة بأية طريقة من الطرق من دون تدمير أنفسهم بشكل لايمكن جبره، لأنه تولى بالغالب استنزاف أنفسهم، وغالباً ما أنفق حتى القليل الذي يمتلكونه للانفاق على عيشهم، وكان ذلك من دون فائدة، فهو إن حصل على مملكة أبوليا من البابا إلى ابنه ادموند بطريقة غير صحيحة وغير حكيمة، لابد من أن يعزو ذلك إلى سذاجته، ولابد من أن يوصل القضية إلى النهاية الأفضل التي يستطيعها، لأنه تصرف بصورة غير حكيمة ومن دون الحصول على نصيحة نبلائه، ومثل ذلك رفض جميع المداولات والعقلانيات التي تنظر بشكل عام إلى نتائج الأعمال مسبقاً، ولقد توجب عليه أن يكون قد تعلم على الفور أن يكون حكيماً، وأن يحذو حذو أخيه رتشارد ملك ألمانيا، الذي عندما عرضت عليه المملكة المذكورة أي أبوليا، وقدمت إليه أعطية من البابا، وجرى إرسال المعلم ألبيرت لإعلان ذلك له، رفضها على الفور باستخفاف، وخاصة وأن انكلترا كانت مفصولة عن أبوليا بعدد كبير غير معروف من الممالك تستخدم لغات متنوعة، وبعدد كبير جداً من الامارات، وكذلك بعدد كبير من المدن المجهزة بشكل جيد بالجنود والسلاح، وببحار وجبال، وببلدان واسعة، متعبة جداً أن تسافر عبرها.

والذي خافه الايرل رتشارد أكثر من أي شيء آخر، وكان ذلك لسبب منطقي، تعلق بالسلوك المراوغ للبلاط الروماني، والخيانات المضاعفة للأبوليين، الذين دمروا حلفاءهم وأقرباءهم بالسم، ولكن حتى لايظهر وقحاً تجاه البابا، الذي بسبب مقامه هو أعلى من جميع الأمراء والأساقفة، والذين صدوراً عن الصداقة قد انتخبوه، كتب الايرل بسبب ذلك المقام السامي، جواباً إلى البابا بأنه سوف عن طيب خاطر يوافق على خطته، إذا ما سمح البابا لجميع الصليبيين بمساعدته وهو أمر يستطيع ترتيبه بسهولة على أساس مدينة نوسيرا في أبوليا، التي كانت مسكونة من قبل المسلمين، وأن يعطيه نصف النفقات التي سيتحملها في تلك الحرب، وسوف يعطيه ملكية بعض المدن والقلاع التي كانت آنذاك ملكاً للبابا، وذلك مع رهائن جيدين، وذلك في سبيل أنه عندما سيأتي إلى هناك سوف يجد أمكنة آمنة للالتجاء، والحماية فيهم ضد المتمردين، أو ضد أي واحد سوف يثور ضده، وإذا —علاوة على ذلك— مامنحه الحماية بوثائق مدونة مختومة بالختم البابوي العظيم.

## *كيف فرض البابا الأمر خداعاً على ملك إنكلترا*

وعندما جرى اخبار البابا بجميع هذه المطالب، رفض الموافقة عليهم بأية طريقة من الطرق، ولذلك أرسل بشكل سري رسلاً، كانوا قادرين تماماً على اخضاع عقول المستمعين إليهم، بوساطة دهاء حججهم، ويمكنهم أن يفرضوا أنفسهم خداعاً على فسولة الملك وعلى سذاجته المتناهية، بمنح مملكة أبوليا إلى ابنه الأصغر ادموند، ووعدوه بمساعدة فعالة في ايصال القضية إلى نهاية صالحة، وبهذه الوعود الفارغة فرح الملك إلى أبعد الحدود، وشعر بسرور عارم، إلى حد أنه منح البابا ورسله كل الذي كان بحوذته، وكل ما كان بإمكانه الحصول عليه، بأية وسيلة من الوسائل، وبثقة وسرية وعد بالمزيد.

ونتيجة لهذا تنافس رسل البابا أحدهم مع الآخر بالفعل، حول

القدوم إلى انكلترا إلى عند الملك، من أجل الحصول على الهدايا الثمينة للملك، لأنهم شموا عن بعد الرائحة الطيبة لأمواله، فقد جاء أولاً أسقف بولونا الذي قام باسم البابا بمنح ادموند المذكور مملكة أبوليا واسنادها إليه بوساطةخاتم، ثم جاء رئيس أساقفة ميسينا، الذي لم يعد فارغ اليدين، وجاء من بعده على التوالي جون أوف ديفا، ثم المعلم برنارد، ثم المعلم برنارد أوف سيينا، ثم روستاند، وبعده هيرلوت، ثم عدد كبير آخر، لكثرتهم يصعب ذكرهم، وكل واحد منهم استقبله الملك بأعظم الموارد والتشريف، مما ألحق الأذى وسبب الدمار لمملكته كلها، ولذلك أثير النبلاء تجاه صمت وفسولة الأساقفة، وسعوا لتنظيم إجراءات الملك، لو أنهم تمكنوا من فعل ذلك بأية وسيلة من الوسائل.

## *موت رئيس أساقفة تريف*

وفي هذه الآونة نفسها، مات رئيس أساقفة تريف، الذي كان قد شكل حلفاً مع دوق برابانت وكان معارضاً لملك ألمانيا.

## *كيف جرى منح الملك مساعدة مالية*

بما أن نبلاء المملكة قد قدموا جواباً قاطعاً بالاجماع لطلب الملك المستعجل للحصول على مساعدة مالية، وقد صرحوا أنهم لايستطيعون وكذلك لايرغبون بالخضوع أية مدة أطول لمثل هذه الاستخراجات، لذلك حمل الملك نفسه غاضباً، وتحول نحو أساليب ماهرة أخرى، لجرف مبلغ كبير من الكنيسة، ولذلك توجه بالخطاب في المقام الأول، إلى رئيس رهبانية دير ويستمنستر، وأداره بوساطة وعود خادعة ليحرك حماسه وحماس رهبانه إلى عمل مدون، وبناء عليه أصبح ضامناً للملك بمبلغ ألفين وخمسمائة مارك، في سبيل أن يقدم مثلاً شنيعاً، يمكن أن يعطيه الوسائل لاستخراج مثل ذلك المبلغ من الديرة الأخرى.

## كيف جرى إرسال سيمون باسليف بمهمة إلى مختلف رئاسات الرهبانيات لاستخراج المال منهم

ثم إن الملك أرسل بكل سرعة سيمون باسليف، مع هذه الرسائل إلى الديرة الأخرى، من أجل أن يقوم رؤساء رهبانهم بالتعهد بحمل الحمل نفسه، وأساء الملك بهذا الإجراء وأضر بسمعته إلى درجة عالية، لأن العمل بحد ذاته أظهر إلى أي مدى كان متشوقاً لظلم الكنيسة من دون رحمة، وقام سيمون باسليف، البارع والكذاب، الذي كان محاسب الملك ومستشاره، في سبيل اشباع رغبته في تنفيذ أوامر الملك، حتى وإن كانت غير موائمة وغير صحيحة، فذهب بكل سرعة إلى وولتهام Waltham, وقدم رسالة الملك، والتمس من رئيس الرهبان والرهبان في وولتهام التعهد بالقيام بالواجب نفسه مثل الذي فرضه رئيس رهبان ويستمنستر على نفسه عن طواعية، أي بالكتابة بيده وبأيدي الرهبان بأن يكونوا ضامنين للملك لدفع مبلغ سبعمائة مارك لصالح الملك.

وأراهم أيضاً الرسائل المصدقة حول هذه القضية، والعائدة إلى رئيس رهبان دير ويستمنستر مع المجمع الرهباني للدير نفسه، وهي تحمل أختامهم، ولدى مشاهدة ذلك، ارتعب رئيس رهبان دير وولتران كثيراً، وسأله عما إذا كانت هناك رسائل مماثلة موجهة إلى الديرة الأخرى، فأجابه سيمون: «في الحقيقة أنا لدي رسائل إلى دير القديس ألبان، وإلى دير ردنغ، وإلى الأماكن الأخرى»، ثم إن رئيس الرهبان شرع بالتشاور مع رهبان الدير في مقر الهيئة الرهبانية، وأعطى أخيراً إلى سيمون الفهم، في جواب لطلبه، أنه مهما كان نوع التصرف الذي قام به حول هذه القضية رئيس رهبان دير ويستمنستر والرهبان (الذين أظهروا بحكم الضرورة المراعاة للملك، لأنهم كانوا ملزمين بإطاعته في المسائل الصعبة، بحكم كونه المجدد لكنيستهم) هو لن يكون بأي حال من

الأحوال كفيلاً، أو سيتعهد بنفسه بأية طريقة من الطرق بدفع مثل ذلك القدر من المال إلى الملك، «لأنه ما من أسقف كان مسموحاً له وفقاً لما هو مدون في المراسيم البابوية، في مادة الالزامات، أن يخضع كنيسته لمثل هذا الخطر والمخاطرة»، وعلى هذا الكلام أجابه سيمون: «الملك سوف يعطيك أية ضمانة ترغب بها، تكون مكتوبة، من أجل تحديد دفع مالك وتأكيد ذلك»، لكن رئيس الرهبان رد عليه قائلاً: «نحن لانرغب بوجود أية مناسبة للخلاف مع الملك، أو أن نتورط بدعوى قضائية معه، لأننا لانمتلك الامكانات للتنازل معه على أرضيات متساوية، ونحن لايمكننا جلبه إلى القضاء أو أن نفرض عليه الدفع، إذا كان ضعيفاً بما فيه الكفاية بالإصغاء إلى رأي ضال»، وهنا أضاف سيمون قائلاً: «أشفقوا من أجل خاطر الرب، أشفقوا على مولاكم، وحاميكم الخاص، لأن بيعته سوف توضع على الفور تحت عقوبة الحرمان من شراكة المؤمنين، يعني أن تقول إن ذلك سيكون خلال ثلاثة أيام أو أربعة، ولسوف يتبع ذلك إجراءات أقسى، مالم توافقوا على التماساته، وكما تعلمون بشكل جيد، هو أحسن المسيحيين، والأكثر تقوى بين الملوك، ولن يرغم على الاقلاع عن الالتزام بتنفيذ الواجبات الدينية، من أجل أي مبلغ مهما كان من الذهب الصافي.

## *كيف ذهب سيمون باسليف إلى رئيس رهبان ورهبان دير القديس ألبان*

وبما أنه لم يستطع النجاح على هذه الصورة، أو بوساطة أية مناقشات مراوغة وكذب، غادر غاضباً، وكدس التهديدات فوق التهديدات، وأخذ طريقه إلى دير القديس ألبان، مصحوباً بواحد من كتّاب الملك، كان هو مرافقه في مهمته، في سبيل ربط رئيس الرهبان مع رهبان ذلك المكان، وإلزامهم بالموافقة على رغبات الملك، بوساطة خطابات مخادعة، أو بوسيلة ما أو أخرى، سواء أكانت صحيحة أو خاطئة، لكن رئيس

رهبان وولتهام كان قد أرسل رسالة سرية بكل سرعة إلى رئيس رهبان دير القديس ألبان وإلى الجميع هناك، حيث أخبرهم بجميع الذي حدث، وكيف أن سيمون باسليف قد حاول بوساطة حجج مخادعة وملتوية، وسعى بناء على الطلب الملح للملك أن يربط كنيسة وولتهام بدفع سبعمائة مارك إلى الملك، وكيف أنه رغب بجعل رئيس الرهبان والرهبان أن يصبحوا ضامنين له بوساطة وثيقة مدونة، ووصل سيمون المتقدم الذكر (أو بالأصح أنْ نقول سينون) إلى كنيسة القديس ألبان قبل صلوات ساعة الهيئة الرهبانية، وتظاهر بأنه قدم من لندن في ذلك اليوم، وأنه سار طوال الليل تقريباً (مع أنه جاء مباشرة من وولتهام) وألقى بنفسه على مقعد وأمال رأسه عليه، وغرق في النوم، ثم إنه ذهب بعد هذا بكل سرعة إلى رئيس الرهبان، وتحدث بلهجة حزينة وآسفة وقال: «لقد أرغمت يامولاي أنا ومرافقي بحكم الضرورات الكبرى، على السفر وقطع المسافة كلها بين لندن وهذا المكان في الليلة الماضية»، وقدم رسالة الملك، التي تولت الاشارة إلى مبلغ مختلف عن الذي كان قد ذكره شفوياً، وعرض أيضاً بشكل مكشوف رسالة رئيس رهبان ويستمنستر مع التجمع الرهباني للدير، مبرهناً بأنهم وافقوا بأريحية على طلب الملك، وبضربه لهذا المثل أمل أن يخضع رئيس الرهبان والرهبان في دير القديس ألبان إلى ارادة الملك، كما أنه وعد أيضاً، باسم الملك، أن أي صيغة مكتوبة يرغبون بها، ينبغي اعدادها، من أجل ضمان دفع المال، الذي سأله اقراضه لبعض الوقت، تحت ضمانة مكتوبة، وكان المبلغ الذي طلبه كما ذكر، قد وصل إلى سبعمائة مارك، وأضاف أنه إذا مارفض رئيس الأساقفة، سوف ينال غضب الملك الأبدي، لأنه بيعته كانت تحت خطر التعليق، الأمر الذي هو لن يقبل به ويرضى بأي حال من الأحوال.

وتملكت الدهشة رئيس الرهبان والرهبان، لابل في الحقيقة جميع

الذين سمعوا هذه الرسالة، وجاءت دهشتهم من طغيان الملك ودهائه، خاصة وأنه يرغب بوساطة التماساته الملحة بالحصول على وثيقة مكتوبة من رئيس الرهبان والرهبان تشبه تلك التي كان قد حصل عليها رئيس رهبان ورهبان دير ويستمنستر.

وبناء عليه جرى عقد مؤتمر للتشاور في مقر الهيئة الرهبانية، وأخيراً جاء الجواب حاسماً، بأنهم لايمكنهم بأي حال من الأحوال الرضوخ لمطلب الملك «لأن ذلك سوف يكون مضاداً للمحظورات البابوية، ومناهضاً للكرامة»، وعرض على سيمون أيضاً وأري توجيهات مكتوبة، إحداها موجهة بشكل خاص إلى وارن Warren الذي كان من قبل رئيساً للرهبان، وإلى خلفائه، وقد ورد في الوثيقة المذكورة فقرة تحرم عليهم وضع كنيستهم تحت الالزام بأية طريقة من الطرق، وذلك تحت طائلة عقوبة التعليق، والحرمان من شراكة المؤمنين، والحرمان الكنسي، وبناء عليه، اختار هكذا رئيس الرهبان والرهبان في دير القديس ألبان الحصول على غضب الملك الأرضي الذي عمل طلبات غير عادلة، وآثروا ذلك على اغضاب الملك السماوي، ثم إنهم بخرقهم لما حرمه البابا، سوف يغلون أنفسهم بأغلال التكفير.

وعندما سمع سيمون أسبابهم للرفض تظاهر بالهدوء واللطف، وأجابهم بحرارة قائلاً: «أصدقائي المحبوبين لاتزعجوا أنفسكم مطلقاً حول هذا، لأن ملكنا معه رجلاً مقدساً جداً، هو راهب من طائفة الفرنسيسكان، اسمه مانسيتوس، قد جرى إرساله من البابا بمثابة حماية، وهو لديه سلطات كاملة، وهو جاهز تماماً لتحليل جميع الذين حنثوا بأيمانهم في سبيل مساعدة الملك في حاجته الضاغطة كثيراً، إنما إذا كنتم لن تساعدوا الملك في هذه الآونة، سوف أعود على الفور إلى لندن، وسوف أخبر الأسقف بأنكم ألقيتم جانباً كل احترام للملك، وأنكم ازدريتم حمايته، وأنكم تعاملون لطف وسلطة الراهب المذكور

باستخفاف»، وعلى هذا تلقى سيمون جواباً جاء فيه: «إنه لن يبدو منطقياً أن نرغب بأن نتعرض لعقوبة الحرمان الكنسي، وأن يجري تحليلنا في الوقت نفسه، ووفق الطريقة نفسها ينبغي علينا عدم اطاعة أوامر طبيب دجال يمكن أن يقول: لاتخافوا اكسروا أرجلكم، أو أي عضو آخر، وأنا سوف أجد لكم جراح جيد، سوف يتولى شفاء وإعادة العضو المكسور، يضاف إلى هذا، إذا كنا سنفعل هذا، فلسوف نذنب بطرق مضاعفة، ففي المقام الأول سوف نكون كذابين معروفين بالكذب، وفي المقام الثاني إذا ماوضعنا أختامنا —الأمر الذي يعني رهن إيماننا— على مثل هذه الوثيقة، فلسوف يصرخون عالياً ضدنا، بأننا تصرفنا بشكل ظالم، وهذا أمر لن نفعله بأي حال من الأحوال»، فعقب سيمون على هذا قائلاً: «مامعنى هذا؟ هل سأذهب مغادراً فارغ اليدين؟ إن مولاي الملك سوف يعتقد بأنني بعثت بعض الخلاف بينكم وبينه، وبذلك سوف ينزل اللوم كله على رأسي، مع أنني بريء، ولماذا واجه مولاي هذا الصد على أيديكم؟ أنتم لاتمتلكون شيئاً إلا الذي أعطاكم إياه الملك أو أجداده، ولذلك إنكم ملزمون بشكل عادل أن تقدموا المساعدة إليه في هذه الضائقة الطارئة، لاسيما وأن كل شيء عائد إلى الملك»، وعلى هذه الحجج رد رئيس الرهبان والرهبان قائلين: «صحيح إن كل شيء عائد إلى الملك، لكن من أجل الحماية، وليس من أجل التدمير، فهذا ماأقسم الملك عليه عند تتويجه، ثم مراراً كثيرة بعد ذلك، ولذلك نحن لانولي أدنى اهتمام للحجج الواهية العائدة لك».

وعندما سمع سيمون هذا، لجأ إلى استخدام نوع آخر من الخداع، وعلى ذلك قال: «إذا كنتم لن تفعلوا شيئاً آخر للملك، افعلوا على الأقل مايلي: دونوا كتابة الموافقة على طلب الملك، وذلك تماشياً مع طلبه ورغبته، واختموا ماسوف تكتبونه، واحتفظوا به بين أيديكم في خزانتكم، وهكذا عندما تلين قلوبكم في أي وقت من الأوقات

وتتواضعون، يمكن للملك أو لمندوبه أن يجدها جاهزة، وسوف يأخذها عندما يحل الوقت المناسب، افعلوا حتى لايكون استخفافكم ولامبالاتكم واضحين تمام الوضوح»، وعلى هذا أيضاً أجابه رئيس الرهبان والرهبان قائلين: «لاياسيمون لا، لأنك وقتها سوف تقول —ويمكنك القول بشكل منطقي— بأننا وافقنا، وكتبنا بذلك وثيقة اعتراف ذكرنا فيها موافقتنا على رغباته، حسبما هو الوضع بالنسبة لرسالة رئيس رهبان دير ويستمنستر التي عرضتها علينا وأريتنا إياها، وبذلك سوف نضرب مثلاً خسيساً للآخرين، الذين أنت راغب في الانقضاض عليهم، واخضاعهم لإرادتك، وهذا لن نفعله مطلقاً»، وهكذا ذهب رجل الاغواء وغادر مضطرباً، دون تحقيق هدفه.

## *الخداع الذي وضع قيد التطبيق من قبل سيمون المتقدم ذكره ليفرض على بعض رؤساء الرهبان*

لقد أدخلت جميع هذه التفاصيل بالكامل، من أجل أن يعلم القارىء لهذا الكتاب، كم هم خطيرين الأعداء الداخليين، ومدى الأذى الذي أراد هذا الانكليزي المنحط سيمون وسعى لإنزاله على المملكة وعلى الكنيسة، وقام رئيس الرهبان المذكور والرهبان بالكتابة بصورة متواضعة وباعتدال وصداقة، واعتذروا عن أنفسهم على أساس قاعدة صحيحة، وبذلك نجوا من المخاطر التي تهددهم، وفي الوقت نفسه، كان سيمون قد أعلن مرفقاً إعلانه بيمين، بأنه سوف يذهب على الفور إلى الملك في لندن، ومع ذلك لم يشعر بالخجل ولم يخش أن يتهم بكذبة أخرى، فغيّر طريقه، وذهب بسرعة كاملة إلى ردنغ، ليوقع بالفخ رئيس رهبان ورهبان ذلك المكان بأحابيل خداعه المعتادة وزيفه، لكن كانوا قد أنذروا مسبقاً بقدومه، وأخبروا بإجراءاته، ولذلك واجهوه في وجهه بجرأة، وهكذا فإن الجور الذي هو زيف لذاته، أخفق في مقاصده، وكنت في الذي كتبته أعلاه،قد ذكرت المبلغ الاجمالي من المال بالكامل، لأن

الطلب الملكي المكتوب، استهدف كل واحد من الديرة الأربعة، التي هي: ويستمنستر، والقديس ألبان، وردنغ، ووولتهام، وأن تصبح هذه الديرة كفيلة، أي كل واحدة منها للآخر، من أجل المبلغ كاملاً، وعلى هذا الأساس سوف يكون كل دير مسؤول عن نفسه، وعن كل واحد من الآخرين من أجل خمسمائة مارك، أي من أجل ألفي مارك، وخمسمائة مارك من أجل الفائدة، وقد طلب الملك الحصول على هذا المال بكل سرعة، وعلى ذلك سوف يكون مرغماً على الاستدانة من تجار السماسرة.

## *كيف شق الرهبان الفرنسيسكان طريقهم بالقوة إلى داخل مدينة القديس ادموند*

وحوالي هذا الوقت نفسه، قام الرهبان الفرنسيسكان بفضل السلطة الممنوحة إليهم من البابا، بفرض أنفسهم على مدينة القديس ادموند، ضد إرادته، وذلك على الرغم من معارضة رئيس رهبان ورهبان ذلك المكان، ولقد أدخلوا إلى هناك وأسسوا أنفسهم بوساطة رجلين علمانيين، هما: ايرل غلوستر، الذي كان عدواً معلناً لرئيس الرهبا ن المذكور وللرهبان، وغيلبيرت برستون، وقبل عدة أيام مضت كان رئيس الرهبان المذكور قد جاء من البلاط الروماني، حيث كان يقوم بأخذ احتياطات للمستقبل ضد عنف الرهبان المذكورين، وسلح نفسه مسبقاً برسالة من البابا، لكن على الفور، حصل بعد هذا هؤلاء الرهبان على رسالة أخرى، موجهة لهدف معاكس، بوساطة اضافة تلك الفقرة «دون التقيد»، ولدى سماع الناس بهذه الإجراءات، لم يستطيعوا بصعوبة التعبير عن دهشتهم، من قيام مثل هؤلاء الناس المقدسين —الذين اختاروا عن طواعية الفقر ليكون حصتهم— برميهم جانباً كل خوف من الرب، وحيث استخفوا بغضب الشهيد المبجل، وبالناس، ولم يهتموا بحماية الامتيازات، بل خرقوا، وأزعجوا حالة سلام تلك الكنيسة النبيلة، التي كانت معروفة تماماً بكرامتها العالية وبقدمها، ولم يكن

رئيس الرهبان قد شعر بالانهاك نتيجة الرحلة المتعبة عبر الألب، أو بالديون الضخمة التي كان قد تورط بها، بقدر ماتضايق من هذا الإجراء، وليضيف إلى أحزانه، كان خائفاً جداً من الإجراءات القانونية التي اتخذت من قبل ايرل غلوستر، ولإدراكه لضعف أوضاعه الصحية، وافق على تأجيل القضية.

## إكمال البارلمان الذي بدأ مؤخراً

استمرت المشادات الكلامية بين الملك ونبلاء المملكة في البارلمان الذي تقدم ذكره أعلاه حتى يوم الأحد الذي جاء بعد يوم عيد الصعود، ويوماً بعد يوم ازدادت الشكاوي وتضاعفت ضد الملك، وتركزت حول أنه لم يحافظ على وعوده، وأنه عامل مفاتيح الكنيسة باستخفاف، وخرق شروط الصك العظيم مراراً ومراراً لانقاذ نفسه، وكان من أسباب الشكاية الأخرى، أنه رفع من شأن إخوته لأمه، وكأنهم من أهل هذه البلاد الطبيعيين، وفعل ذلك بطريقة لاتحتمل، معاكسة لحقوق وشريعة المملكة، ولم يسمح باتخاذ أية إجراءات ضدهم في المحكمة العليا، ومع أن صلف إخوة الملك المذكور، والبواتيين الآخرين كانت لاتحتمل، كانت تصرفات وليم دي بلنسية قد تفوقت عليهم جميعاً في الوقاحة والصلافة، واشتكى ايرل ليستر، فوق الآخرين، من هذا بمرارة ليس فقط إلى الملك، بل إلى الجماعة كلها على اتساعها، وطالب بإلحاح بأن تناله يد العدالة، وعلاوة على ذلك جرى توجيه النقد إلى الملك من أجل إغناء جميع الأجانب، والدفع بمصالحهم، وأنه أرفق هذا بازدراء رعاياه الطبيعيين ونهبهم، مما سيؤدي إلى دمار المملكة كلها، وقيل له وأفهم أنه كان محتاجاً معوزاً، في حين يمتلك الآخرون أموالاً وافرة، ولحاجته إلى الأموال لم يعد بإمكانه استرداد حقوق مملكته، لابل لم يعد بإمكانه ضبط الغارات المدمرة للويلزيين، الذين هم الحثالة الحقيقية لبني البشر.

وباختصار مجمل نجد أن تجاوزات الملك تتطلب أن تعالج بشكل خاص مفردة، وكانت ردات فعل الملك هي الاعتراف بصدق الاتهامات، مع أن ذلك جاء متأخراً، وقد تواضع بنفسه، وقد أعلن أنه غالباً ماألزم بقبول النصائح الشريرة، ووعد وأقسم عند مذبح ومزار القديس ادوارد، بأنه سوف يقوّم أغلاطه القديمة تماماً وبشكل صحيح، وسوف يظهر الحظوة واللطف نحو رعاياه الطبيعيين، لكن تبدلاته المتكررة جعلته من قبل غير جدير بالتصديق، وبما أن النبلاء لم يتعلموا بعد كيف يحافظون على بروتوسهم Proteus منضبطاً (لأنها كانت مسألة شاقة وصعبة)، جرى تعليق جلسات البارلمان، وتأجيله حتى عيد القديس برنابا، حيث سيجتمع في اكسفورد.

وفي هذا الوقت قام نبلاء انكلترا أمثال ايرلات: غلوستر، وليستر، وهيرفورد، والايرل مارشال، مع رجال آخرين لهم تميزهم بالتحالف فيما بينهم لاتخاذ إجراءات احترازية، لأنهم شعروا بمخاوف كبيرة من مؤامرات الأجانب ودهائهم، وكانت لديهم بعض الشكوك أيضاً حول إجراءات الملك الخفية، ولذلك ذهبوا تحت حماية مرافقة كبيرة من الفرسان والأتباع المسلحين.

## *الأنواء غير الموسمية*

في هذا العام هبت الريح الشمالية بدون انقطاع لعدة أشهر، وعندما عبر نيسان وأيار والجزء الرئيسي من حزيران، ولم يكن مشاهداً أية أغراس صغيرة ونادرة، أو أية أشجار مبرعمة ومزهرة، نتيجة لذلك، بقيت هناك آمال ضئيلة حول موسم مثمر، ونظراً لندرة القمح مات عدد كبير من فقراء الناس، وتم العثور على جثث الموتى في جميع الاتجاهات، وقد انتفخت وكانت شاحبة، وكانت كل خمسة جثث وستة ممددة في مرابط الخنازير، أو على أكوام القمامة والمزابل، وفي الشوارع الموحلة، والذين كانت لديهم ديرة لم يتجرأوا في حالة عوزهم على تزويد

الذين كانوا يموتون بغرف في الديرة، خوفاً من العدوى، وعندما كان يتم العثور على عدد من الجثث، كان يتم عمل حفر واسعة وكبيرة في المقابر، حيث كانوا يمددون فيهم أعداداً كبيرة من الجثث مع بعضهم.

## البعثة الخاصة إلى الملك الفرنسي

خلال الوقت الذي مضى قبل عقد البارلمان في اكسفورد، جرى اختيار رسل خاصين من ايرلات وبارونات انكلترا، وقد أرسلوا إلى الملك الفرنسي، للحصول على بعض المواساة منه، أو على الأقل لمنع أية عوائق من أن ترمى في الطريق، فتعيقهم في خططهم ونواياهم، لأنهم كانوا يسعون في سبيل منفعتهم، ومن أجل منفعة البلدان المجاورة لترتيب ولتهدئة الإثارة التي قامت في انكلترا نتيجة للفسولة المستمرة طويلاً والمتعلقة بسذاجة الملك.

## تأسيس دير رهباني من قبل جون مانسيل

في هذا العام نفسه أيضاً، أسس جون مانسيل رئيس كنيسة بيفيرلي Beverley, والذي كان كاتباً ومستشاراً خاصاً لدى الملك، وكان رجلاً عاقلاً وحكيماً، أسس في رومني Romney, على بعد حوالي الميلين عن البحر، ديراً للكهنة النظاميين، وجهزه على نفقته، ووضع فيه كهنة نظاميين، ولقد أقنعه بالقيام بهذا العمل هو التقدير بأن الحظوة الملكية ليست وراثية، وأن ازدهار الدنيا لن يدوم إلى الأبد، كما أنه تأثر بالمثل الذي ضربه بطرس كاسبورت Chaceport, الذي قام قبل وقت قصير بتقوى وسعادة، فأسس ديراً للطائفة نفسها، ولذلك كان يأمل بأنه عندما سيعبر من عالم استحواذ الثروات المؤقتة، يمكن أن لايفقد الثروات التي كانت سرمدية.

## وفاة سيوول رئيس أساقفة يورك

وفي حوالي أيام عيد الصعود، قام رئيس أساقفة يورك في سبيل

الصعود مع الرب بالخروج من سجن هذا العالم، وفرّ طائراً إلى السماء، ومن المعتقد من دون أي شك في أنه قايض حياته الأرضية بملكوت السماء، وحصل على تاج النصر، بعدما قاتل بشجاعة حتى أقصى ماامتلكه من قوة في سبيل كنيسته ضد طغيان بلاط روما، وكان ذلك من خلال فضائله، والمحن الكثيرة التي مرّ بها، وسار سيوول رئيس الأساقفة هذا على خطى القديس ادموند، واتبع منهجه (فهو الذي كان قد أصغى إلى محاضراته، وكان باحثاً لديه وتلميذاً) وقد سعى بأن يقلد بنفسه وبأعماله وأخلاقه ذلك القديس وأعتقد أنني ينبغي أن لاأتجاوز ذكر أن القديس ادموند، عندما كان يحاضر في اللاهوت في اكسفورد، اعتاد أن يقول إلى أعز الأصدقاء عليه، وإلى طلابه الخاصين: «آه ياسيوول، ياسيوول سوف تعبر من هذا العالم شهيداً، فلسوف تهاجم وتقتل بالسيف أو بوساطة محن هذا العالم الهائلة، وعلى كل حال ليكن المواسي لكم الذي أوحى بالمزمور الذي يقول: «كثير من الممتحنين محقين، ومن هذه المحن سوف يحررهم الرب في أحد الأيام»، وإنها لحقيقة واضحة ومقررة أن كثيراً من الشهداء، عبروا من هذا العالم من دون أن تسفك دماءهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال القديس يوحنا الانجيلي، وعدد كبير آخر.

## *أقوال وأعمال رئيس الأساقفة*

## *المتقدم الذكر لدى اقترابه من الموت*

عندما رأى رئيس الأساقفة المقدس هذا أن الموت بات بلاشك قريباً، وأنه على وشك العبور من هذا العالم، نهض بنفسه قائماً، وبيدين متشابكتين، وبسحنة باكية، توجه نحو السماء، وتفوه بالدعاء التالي: «آه أيها الرب يسوع المسيح، الذي أنت أعدل القضاة، إنك تعلم بعلمك الدقيق كم تعرضت في براءتي إلى الإرهاق بطرق مضاعفة من قبل البابا، الذي أنت سمحت لأن يصبح حاكماً على كنيستك، بسبب (كما يعلم

الرب ولأنه ليس سراً للدنيا) أنني رفضت قبول أشخاص غير معروفين وغير جديرين لإدارة الكنائس التي عهدت بها لعنايتي، أنا الذي لست جديراً، وقمت على كل حال خشية الاستخفاف بحكم البابا، مع أنه حكم غير عادل، ولكي يكون عادلاً، قمت بالتوسل متواضعاً، ورجوت بأن أحلل من أغلال الحرمان الكنسي، لكنني استأنفت مترافعاً ضد البابا إلى القاضي الأعلى الذي لايفسد، والسموات والأرض سوف تكون شهودي، كيف أنه هاجمني، وقرعني، وفضحني بطرائق مضاعفة كثيرة».

وفي مرارة نفسه، قام بناء عليه بالكتابة إلى البابا (متأثراً بمثل روبرت أسقف لنكولن) وعبر عن آلامه وأحزانه التي يمكن مواساتها، لأن البابا قد أرهقه، لأنه رفض —كما ذكرنا أعلاه— قبول أشخاص من دون خبرة، جاهلين باللغة الانكليزية، فما كان من البابا إلاّ أن قام أولاً بتعليقه، ثم قام مرة ثانية بمنعه من تخطي عتبات الكنيسة، ثم قام الآن بأخذ الصليب من أمامه، ثم مرة ثانية أعلن عن حرمانه كنسياً في جميع أرجاء المملكة (مع أن الوكلاء لمثل هذا الحرمان الكنسي قاموا بتنفيذ واجبهم من دون رضا)، وهكذا أساء إلى اسمه الجيد وآذاه بطرق مختلفة، مما آذاه دنيوياً كثيراً، ثم إنه قام على كل حال بالشكوى بمرارة، من أنه قد تحمل ذلك بصبر، لكنه كان لايستطيع أن يتحمل إلاّ بصعوبة بالغة الحملات العنيفة لبعض الكهنة، الذين تفاخروا بأنفسهم بأنهم يمتلكون سلطات البابا وتفويضه من أجل إجراءاتهم، خاصة المعلم جوردان الذي كان يسعى فاتحاً فاهه لالتهام منصب العمادة، وكرر أنه قد تحمل هذا كله بصبر، حتى لايقال بأنه ضحك ليسبب الاهانة لأبيه، مثل حام، بكشف عورته، بل كان قلقاً لإخفائها وتغطيتها مثلما فعل سام، وكان غالباً مايعيد إلى ذاكرته الوصية المختصرة التالية «في كشف لعورة أبيك، أنت مثل حام، ومثل سام في اخفائها».

وفي رسالته، قام بناء عليه، فتصرف مثلما تصرف روبرت المذكور، أسقف لنكولن، فتوجه بالرجاء بتواضع واخلاص إلى البابا «ليلطف من طغيانه المعتاد، وليأخذ بالمثل الذي ضرب بإنسانية وتواضع من قبل أسلافه»، لأن الرب قال لبطرس: «أطعم شياهي، ولاتجزهم، أو تسلخهم، ولاتجوفهم ولاتفترسهم»، لكن البابا ضحك من طلبه، وعامله باستخفاف، وشعر بغضب عظيم، لأنها امتلكا الوقاحة الكبيرة بازعاجه على هذه الصورة، فهو البابا ولايجوز التصرف نحوه هكذا بأي حال من الأحوال، ولذلك رفض الاصغاء إلى التحذيرات السلمية لكل من رئيس الأساقفة سيوول، أو إلى روبرت المذكور، رئيس أساقفة لنكولن.

## معجزة الماء الذي تحول إلى خمرة

وحدث في أحد الأيام عندما كان [رئيس الأساقفة] يتعرض من المرض المميت الذي كان يعاني منه، إلى ضغط شديد وصل إلى حد أنه شعر بالعطش، وطلب ماء من أحد الينابيع، وعندما قدم الماء إليه، باركه بتقوى، وكما قال إنه لافائدة من الشكاية، ولدى تذوقه له وجد أن طعمه كان طعم خمرة وليس ماء، وقد وبخ خادمه لقيامه بغشه، حيث قال له: «لماذا غششتني بهذا المشروب؟ وأين وجدت هذا؟»، وأجابه الخادم قائلاً: «في النبع يامولاي، ولم أكن لوحدي هناك»، ثم إنه أحضر اثنين آخرين من الخدم، الذين كانوا واقفين هناك، وعندها أضاف يقول: «هنا شهود موثوقين حول صدق ماقلته»، ووقتها تذوق الخادمان ماكان في الكأس، وأعلنا أنها خمرة جديدة، وعندما سمع رئيس الأساقفة ماقاله الرجال، وخوفاً من أن يقوم خدمه بنشر الخبر وتعميمه، شرب ماكان في الكأس، وتوجه بالرجاء إلى خدمه بلهجة لطيفة (لأنه كان رجلاً لطيفاً في كلامه) بأن لايقولوا شيئاً حول القضية، وقد حدث هذا قبل موته مباشرة.

## حول المجاعة الكبيرة التي انتشرت في جميع أرجاء إنكلترا

وفي حوالي عيد الثالوث في هذا العام، هاجم طاعون مخيف لايمكن احتماله، الناس، وبشكل خاص الذين كانوا من الشرائح الدنيا، ونشر الموت فيما بينهم، إلى درجة محزنة جداً، ومن دون أن نأتي على ذكر جميع الحوادث، لعله يكفي ذكر الحادث التالي: «فقد هلك في مدينة لندن خمسون ألفاً من الفقراء، وتمّ الآن نشر الإعلان التالي: «اذهبوا جميعاً أنتم الذين بحاجة إلى الخبز، وتسلموا حصة من الخبز من فلان وفلان من النبلاء»، وحدد المنادي أسماء الأشخاص والأماكن التي كانوا سوف يتسلمون منها الصدقات، وفي الحقيقة انتشرت المجاعة في انكلترا إلى حد أن كثيراً من الآلاف من بني البشر ماتوا من الجوع، لأن الحبوب وصلت إلى حد النضوج متأخرة كثيراً في الخريف، بسبب الأمطار الثقيلة، ولذلك توفر المحصول فقط في عيد جميع القديسين، وذلك في عدة أجزاء من المملكة، وقد بيع مكيال القمح بستة عشر شلناً، وفي عشية عيد القديس يوحنا المعمدان هبت عاصفة من الأمطار مثلها لم يشاهد قط في أيامنا، حيث فاض مجرى السيفيرن Severn من سالسبري إلى بريستول إلى درجة أن الماء تدفق (كما قال بعضهم من خلجان مخفية في المناطق الداخلية) وغطى جميع المروج، وأتلف جميع الحاصلات في المناطق المجاورة للنهر، وبسبب عنف الفيضان مات عدة رجال، وكثير جداً من الأطفال، ومن الحيوانات أعداد لاتحصى من مختلف الأنواع.

## رسالة ملك إسبانيا إلى ملك ألمانيا

وفي هذا العام أرسل ملك اسبانيا رسالة لم تكن مناسبة ووقحة إلى ملك ألمانيا، يحثه مع التهديد بأن «يتخلى عن مملكته في ألمانيا». وأن يغادر من هناك»، وعلى هذا الطلب أجابه ملك ألمانيا وهو غير هياب وبمعنويات عالية قائلاً: «إنه إذا مااختار أن يأتي لمحاربتي، فلسوف

يجدني جاهـزاً لمقابلته خـارج حدود مملكتي، وسأستقبله بحـد السيف»، وقام ملك اسبـانيا وقد استثير أكثر بهذا الجواب فدمج جيشـه مع قوات مملكتي أراغون ونافار،ووجّه زحفه نحو ايطاليا، ولكن عندما كان غائباً حاول المسلمون الاسبـان الاستيلاء على قرطبة، ولـدى سماعه بهذا عاد كما ذهب لإيقـاف غـزواتهم،وقـام على كل حـال بـإرسـال بعض الشخصيات المتميـزة في بعثة إلى البـابا، للمطالبة بحقـوقه، وليطلب من البـلاط الرومـاني أن لايقبل أي واحد سـواه لحكم الامبراطورية، فهـو أعظم ملوك اسبانيـا وأكثرهم قوة، وهو الذي مدّ حـدود المسيحية أكثر من أي ملك مسيحي آخر، وفي جواب على هذا، قال البابا لصالح ملك ألمانيـا: «أنتم تعلمون ياأبنائـي الأعزاء، وعليكم أن تكونوا عـارفين، أن النظام الاجـرائي الصحيح، والعـرف المعتـاد والموافق عليـه منذ الزمن القـديـم، وهو مـايزال قـائماً، هو أن تعـد مملكـة ألمانيـا تابعـة للمقـام الامبراطوري، وهو مقام ينبغي استحواذه مسبقاً، لأنه الاستحواذ الأول له، لذلك دعوا مولاكم، الملـك اللامع لاسبانيا، أن ينتخب أولاً بشكل صحيح ملكاً لألمانيا، في إكس لا شبيل، من قبل رجال دين ونبلاء تلك البلاد، الذين بين أيديهم مقاليـد الانتخاب راسية، وذلك بحكم العرف القديم، ودعـوه أولاً يجري تكريسه بشكل مهيب ومن ثـم تتويجه ملكاً، وبعـد ذلك، سـوف نريه الحظـوة بقـدر مـابين أيدينا من قـوة، واضعين الخوف من الرب أمـام أعيننا، ونريه أنفسنا أننا لصالحه، ومـوافقين على دفع انتخاب مولاكم، الملك اللامع لاسبانيا، لأنه جدير بكل تكريم».

وقـام الرسل بناء على التقـدير الدقيق لجواب البابـا، وكذلك تقـديراً منهم للجواب الذي أعطاه الملك إلى ملكهم، ونظراً لأحكام الإجراءات القضائيـة، فنصحوه بأنه سوف يكون مـن الحكمة وأكثر فـائدة له حماية مملكتـه، التي كـان المسلمون يتـآمـرون ضـدها، هذا وعندمـا بات هذا معلوماً لدى نبـلاء ايطاليا، قـدم كثيرون منهم اليد اليمنى للصـداقة إلى

ملك ألمانيا، وعلى الفور قدموا له ولاءهم، واستقبلهم الملك بلطف، ودفع مبلغاً كبيراً من المال لتحرير بعض المدن الألمانية من الديون، وبهذا الإجراء طوقهم، وبذلك كسب حظوة عظيمة لدى رجال ذوي سلطة بين الألمان، فقط لو أنه كان نشيطاً في الإجراءات الحربية مثلما هو حكيم ومتفوق في آرائه.

## عودة رئيس رهبان دير القديس إدموند من البلاط الروماني

وحوالي هذا الوقت نفسه قام رئيس رهبان دير القديس ادموند الملك الشهيد، بعدما أطال اقامته وأنفق عليها كثيراً في بلاط روما، بالعودة إلى الوطن، وهو متورط بديون كبيرة، وعلاوة على ذلك كان الرهبان الفرنسيسكان، كما ذكرنا من قبل، قد بنوا لأنفسهم ديراً، على الرغم من معارضة رئيس الرهبان المذكور مع رهبانه، وكان أثناء زيارته الأخيرة لروما قد حصل على امتياز، بموجبه جرى منع الرهبان المذكورين من محاولة القيام بمثل هذا الإجراء مهما كانت الأحوال، لكنهم تمكنوا من إلغاء كل شيء حصل عليه، بوساطة إضافة العبارة المعروفة «دون التقيد».

## البارلمان الذي عقد في أكسفورد

ومع اقتراب حلول عيد القديس برنابا، بادر كبار نبلاء البلاد مسرعين نحو البارلمان الذي كان سيعقد في اكسفورد، وأعطوا أوامر إلى جميع الذين عليهم واجب أداء خدمة الفروسية للملك بمرافقتهم، وهم مجهزين ومستعدين، وكأن عليهم الدفاع عن أشخاصهم من هجمات الأعداء، ووضع هؤلاء هذا الأمر موضع التنفيذ، وأخفوا أسبابهم الحقيقية لعملهم هذا، تحت التظاهر أن قدومهم على هذه الصورة، هو اظهار أنفسهم أنهم جاهزين للانطلاق بقواتهم الموحدة ضد أعداء الملك في ويلز، وفي الحقيقة توفرت لديهم مشاعر كبيرة، أنه نتيجة لعدم اتفاق

الفئات، أنه سوف يتفجر خلاف شديد ونزاع بينهم هم أنفسهم، وأن الملك وإخوانه من البواتيين سوف يدعون جميع الأجانب لمساعدته ضد رعاياه الطبيعيين، وعلاوة على ذلك قام النبلاء بعمل احتياطات اضافية، بحراستهم الموانىء البحرية حراسة دقيقة.

وفي بداية البارلمان، كانت الخطة المقترحة للنبلاء قد تقررت من دون تغيير، وجرى الاتفاق عليها، وطالبوا بشدة وإلحاح بوجوب أن يحافظ الملك باخلاص على شروط صك الحريات والامتيازات لانكلترا، وأن يلتزم به، وهو الصك الذي عمله والده، ومنحه لرعاياه الانكليز، وهو الذي أقسم جون المذكور على الالتزام به، وهو الصك الذي قام الملك الحالي هنري مراراً كثيرة بمنحه، وأقسم على الالتزام به، وهو الصك الذي جرى اعلان الحرمان الكنسي ضد المخترقين له، وأن يجري الإعلان عن هذا الحكم من قبل جميع أساقفة انكلترا، فهو الذي كان قد أمر بهذا، وأن يكون إعلان الحرمان بحضوره نفسه وحضور باروناته، وهو بناء عليه بات محروماً كنسياً.

وطالبوا علاوة على ذلك، بتعيين قضاة لتقديم العدالة إلى الذين عانوا من الأضرار، وأن يكونوا محايدين نحو الأغنياء ونحو الفقراء، كما أنهم تقدموا ببعض المطالب الأخرى، المتعلقة بشؤون المملكة، عازمين على رفع شأن مصالح الملك والمملكة، وسلامهما، وكرامتهما، وعلاوة على ذلك أصروا، على وجوب أن يقوم الملك بمشاورتهم، والاصغاء إلى نصائحهم في عمل الترتيبات الضرورية، وأقسموا جميعاً بتقديم كل واحد منهم يده اليمنى إلى الآخر، وذلك بمثابة عهد على الاخلاص، بأنهم سوف يتابعون نواياهم، مقابل مخاطرة فقدانهم لأموالهم، ولأراضيهم، لابل حتى لأراضيهم، وكذلك لما هو عائد لأتباعهم، واعترف الملك بمنطقية احتجاجهم، وأقسم بشكل مهيب بأنه سوف يصغي إلى آرائهم ونصائحهم، وارتبط ابنه ادوارد أيضاً بيمين مماثل،

وجرى رفض هذا القسم من قبل جون ايرل وارني، ومن قبل إخوة الملك لأمه، أي وليم دي بلنسية والآخرين، وعلاوة على ذلك صدرت الأوامر إلى موانىء انكلترا لأن تكون محروسة بدقة أكبر، وأن تكون أبواب لندن مغلقة بعناية أكبر وبأمان أعظم أثناء الليل، وبناء عليه قال بعضهم: «أغلقت أبواب لندن أثناء الليل، خوفاً من خداع الفرنسيين، من أن يقتحموا المدينة».

وبعدما مددوا اقامتهم في اكسفورد لبضعة أيام، اجتمعوا مع بعضهم في دير رهبان الدومينيكان للتداول حول الذي ينبغي فعله بشأن المشكلة الصعبة، المتعلقة بتحسين الأوضاع الصعبة، للمملكة المضطربة، وهناك جددوا تحالفهم، ومثل ذلك أعادوا تأدية أيمانهم، وثبتوا عزمهم على أنهم لن يسمحوا لأنفسهم، حتى أمام الحياة والموت، أو ضياع الممتلكات، أو الحب والكراهية، أو لأي سبب مهما كان، بأن يتزحزحوا عن نواياهم، أو يضعفوا، وهي النوايا التي قضت بالتطهر من الأجانب المدنسين في المملكة، التي أعطيت بحكم الأصل إليهم أنفسهم، ولأجدادهم الذين كانوا رجالاً من أصل نبيل، وهم يطالبون باسترداد حقوقهم مع الشرائع الصحيحة، وقرروا أنه إذا وجد أي واحد، مهما كان، وقام بمعارضة ماقرروه، ينبغي ارغامه، حتى لو كان ذلك ضد إرادته، على الالتحاق بهم، ومع أن الملك، وابنه الأكبر ادوارد، قد أديا اليمين، بدأ ادوارد يسعى بقدر مايستطيع إلى الانسحاب من قسمه، وذلك مثلما فعل جون ايرل وارني، وهنري بن رتشارد، ملك ألمانيا، حيث أخذ يتعلل، ويقول أنه لايمكنه ولابأي حال من الأحوال أداء مثل هذا القسم، من دون مشورة أبيه واذنه، وبناء عليه جرى اخباره بكل وضوح وبشكل علني، أنه حتى والده إذا لم يوافق على خطة البارونات ويشارك فيها، لن يتمكن من الاحتفاظ حتى ولابشبر من الأرض في انكلترا.

وعلاوة على ذلك، أقسم إخوة الملك المتقدم ذكرهم بكل تأكيد بموت المسيح وبجراحه، بأنهم لن يتخلوا مادامو أحياء، أبداً، عن القلاع، أو الموارد، أو الوصايات، التي أعطاهم إياها أخوهم الملك بمحض ارادته، مع أن سيمون ايرل ليستر، قد تنازل مجاناً إلى الملك عن قلعتيه كينيلوايت Kenilwithe وأوديهام Odiham, اللتان كان قد فرغ من ترميمهما وتحصينهما قبل عدة أيام مضت، وعندما عمل البارونات هذا الاعلان، مؤكدين إياه بأيمان لايمكن تعدادها، توجه سيمون ايرل ليستر بالخطاب شخصياً إلى وليم دي بلنسية، الذي كان متفجراً غاضباً أكثر من الآخرين، وقال في رد له عليه: «عليك أن تكون متأكداً من أنك إما سوف تتخلى عن القلاع التي بين يديك من الملك، أو أنك سوف تخسر بلاشك رأسك»، وقال الايرلات الآخرون والبارونات الشيء نفسه، وأقسموا على ذلك بأكثر الطرائق تأكيداً، ونتيجة لذلك بات البواتيون في حالة رعب شديد، ولم يعلموا ماالذي عليهم فعله، لأنهم إذا ماحملوا أنفسهم على الاختفاء في أي من القلاع، وهم مجردين من المؤن المخزنة ومن وسائل الدفاع، سوف يجري حصارهم، وسوف يهلكون من الجوع، لأنه حتى إذا لم يقم النبلاء بحصارهم ولم يفعلوا ذلك، فإن جماعة الشعب كله، سوف تتولى حصارهم، وتدمر قلاعهم وتجتثها إلى الأساسات، ولذلك قاموا فجأة وبصورة سرية بالفرار، وذلك أثناء الإعداد لتناول طعام الغداء، وفي سبيل أن لاتكشف نواياهم، تظاهروا بأنهم يودون الجلوس إلى المائدة، وأثناء فرارهم، كانوا غالباً ماينظرون خلفهم، وجعلوا خدمهم يصعدون إلى أبراج عالية، لمعرفة فيما إذا كان البارونات يقومون بمطاردتهم، ولم يوفروا أطراف خيولهم، حتى وصلوا إلى وينكستر، حيث لخوفهم وضعوا أنفسهم تحت حماية جناحي الأسقف المنتخب لوينكستر، الذي عليه رست جميع آمالهم، وعلاوة على ذلك لقد أملوا في العثور على مكان للجوء في القلاع العائدة إليه، أي إلى الأسقف المنتخب المذكور،

وأصبح النبلاء في الوقت نفسه أقوى تحالفاً مع بعضهم، وعينوا مسؤولاً عن عدالتهم هوغ بيغود، وكان أخاً لايرل مارشال، وفارساً مشهوراً ومن أصل رفيع، ومن دم انكليزي نقي، وكان بارعاً تماماً في شرائع البلاد، وقد قام بواجبات العدالة والقضاء بكل نشاط، ولم يسمح لامتيازات المملكة بالتداعي بأي شكل من الأشكال. وعندما عرف النبلاء وتأكدوا من فرار البواتيين —حسبما ذكرنا من قبل— خافوا من أن يقترب الفارون من شاطىء البحر، لاستدعاء الأجانب، من بواتيين وغيرهم من القارة لمساعدتهم، وقد رأوا أن التأجيل سوف يجلب الخطر، ولذلك أعطوا أوامر دقيقة إلى جميع أتباعهم وإلى كل شيعتهم، بأن يهبوا إلى السلاح، وأن يمتطوا خيولهم بكل سرعة، وبذلك أنهوا البارلمان في اكسفورد، من دون أية نتيجة ثابتة ومحددة.

## *الخلاف في روما بين البابا والشيخ برانكليون*

وحرر في الوقت نفسه رتشارد، ملك ألمانيا، بحكمة بعض مدن ألمانيا، من ديونها الثقيلة، ومن تعهداتها التي كانت متورطة بها من قبل ملوك ألمانيا من أسلافه، وكان رئيس أساقفة تريف مريضاً منذ وقت طويل، إلى حد أنه ساد اعتقاد بأنه مات منذ أيام كثيرة مضت، وقام رئيس الأساقفة هذا بإرسال رسالة إلى الملك المذكور، أنه «مالم يقم ملك اسبانيا، حسبما وعد بشكل ايجابي، بالقدوم لمساعدته، أي مساعدة رئيس الأساقفة المذكور، ودوق برابانت، اللذان كانا متحالفين مع ملك اسبانيا، فإنهما سوف يقدمان من خلال تحالفهما الوثيق والمخلص، الطاعة له، بحكم كونه ملك ألمانيا».

وعلاوة على هذا قام سكان كثير من مدن ايطاليا، فقدموا اليد اليمنى للصداقة له، لأنهم كانوا قد تشوقوا كثيراً إلى وصوله، وإلى ترقيته إلى المقام الامبراطوري، وكان في الوقت نفسه برانكليون شيخ روما، يقوم بتدمير قلاع النبلاء الرومان، ويتولى سجن أصحابها، كما أنه شنق أو

شـوّه عدداً من أقـرباء الكرادلة ونسبـائهم، ولم يعمل بذلك مخالفـاً بأي شكل من الأشكال لرغبات الشعب الروماني وخططه، وكان هذا الشيخ له حظوة لدى الأمير مـانفـرد، الذي كـان يتطلع نحـو الامبراطورية، ونتيجـة لذلك كرهـا معاً ملك ألمانيـا، ووضعـا خططاً لمعارضتـه، ولهذا السبب بالذات، فإن البـابا الذي كـره الشيخ والأمير مـانفـرد، أظهـر الحظوة نحو ملك ألمانيا المتقدم الذكر.

## كيف حصل رئيس رهبان دير رامسي على إمتياز إقامة السوق في القديسة إيف

وفي هذا العـام نفسه أيضـاً، استردت كنيسـة رامسي حقها وامتيـازها الكامل في سوق القديسة ايف، وجاء ذلك بوساطة براعة الادارة لرالف رئيس رهبان رامسي، وكـان هذا الامتياز قد حصلت عليه بمثـابة أعطية من الملك ادغار Edgar, جـرى تثبيتها من قبـل الملوك القدمـاء الآخرين، كما أن هذا التملـك له قد تثبت وتمتن بموجـب كتابة أصيلة، صدرت عن القديـس توماس الشهيد —رئيس أساقفـة كانتربري، ولقد قيل بأن رئيس الرهبـان رالف المذكـور قد دفـع خمسمائة مـارك فضي في سبيل استرداد امتيـاز ذلك السوق المذكـور، وهو امتياز كـان قد ضـاع، ليس بسبب خطيئة الكنيسـة المذكـورة، بل بسبب الاعتراضـات التافهـة لبعض الآخـريـن، وهي اعتراضـات وضح لكثيرين أنها كـانت زائفـة وبلاأسس.

## وفاة رتشارد رئيس رهبان دير ويستمنستر

في الثامن عشر من تموز، في هذا العام، مات، قرب وينكستر، رتشارد رئيس رهبان دير ويستمنستر، وكـان رجلاً وسيماً في مظهـره، وفصيحاً، وعـالي المعرفـة بنوعي الشرائع اللاهوتيـة والمدنيـة، كما أنه كـان صديقـاً خاصـاً بالملك، ولذلك تحمل عن طواعية في خدمتـه كثيراً من المتاعب،

وأنفق الكثير من الأموال، في كل من القارة والوطن، وقد تمكن رتشارد المذكـور، بوساطة حكمتـه العظيمة، التي تميـز بها كثيراً، تمكن من زيادة أمـلاك الدير بـاثني هايد Hide من الأرض، كما حصل على كثير من الامتيازات لصالح الدير، ولكن بما أن الفضائل تمتزج بالعادة ببعض الشرور، وضع رتشـارد هـذا المذكـور ختمـه مع ختـم ديره على وثيقـة كتبت من قبل الملك، حتى يقـوم رؤساءالرهبان الآخـرون الذين وردت أسماءهم فيها بوضع أختـامهم عليها أيضاً بسهولة أكثـر وبجرأة أعظم، وكانت هذه الوثيقة قـد كتبت في ذلك الوقت لاقناع بعض كبار رؤساء الرهبان في انكلترا ليرهنوا أنفسهم لصـالح الملك، لدى بعض التجار في القارة، في سبيل دفع مبلغ كبير من المال، بناء على وعد بإعطاء ضمانة إلى رؤساء الرهبان المذكورين ولخلفـائه، من أجل دفع المال المذكور وسداده من قبل الملك، والحفاظ على كنائسهم مؤمنة، ولكن بما أنه لم تتوفر الثقة بهذا الوعد، جـاءت موافقتـه لوحده من دون مسـوغ، لأن جميع رؤساء الرهبان الآخـرين قاوموها بالاجماع وبنشـاط، مضيفين —بوساطة إلهام لاهوتي— أن مثل هذا الالتـزام إذا ما تمّ الأخـذ به من قبلهم والشروع به، فإن البقيـة سـوف يحذون حـذوه، وحمل جسـد رتشـارد المتـوفى إلى ويستمنستر ودفن بتشريف في كنيسته الديرية هناك.

## *كيف مات فيليب رئيس الرهبان المنتخب لدير ويستمنستر قبل تثبيت انتخابه*

وجرى انتخـاب فيليب مقدم الرهبان في الدير المذكـور ليكون رئيساً للرهبان هناك، لكنه عندما سمع بانتخـابه عبر عن معارضته الشديدة في إعطاء مـوافقته، وذلك من خـلال الخوف من المرسوم البـابوي الأعظم ظلماً، الذي أرغم كل صـاحب منصـب ديني على الذهاب شخصيـاً إلى رومـا، لأنه كـان يفضل ويـرى أنه من الأحسن له الرفض، للبقـاء في الوطن يمارس طريقته السالفة في الحياة، وقد آثر ذلك على تعريض نفسه

لمثل تلك المخاطر في سبيل منصب دنيوي، ولكن بما أنه تم التغلب عليه من قبل اخوانه الرهبان بكثرة إلحاحاتهم، ثم بما أنه قد جرى انتخابه بشكل شرعي من قبل الجماعة كلها، وافق على رغباتهم، على شرط هو أن يرسلوا بعض الأشخاص الآخرين إلى البلاط للحصول على التثبيت لانتخابه، وبناء عليه سافر بعض من أعلى الرهبان مكانة في سبيل تحقيق هذا المقصد، وترافعوا بأكثر الأسباب قوة وعللوا عدم حضور رئيس الرهبان المنتخب، وبعد كثير من المصاعب، بسبب معارضة الكرادلة، حصلوا أخيراً على المعروف المطلوب، لكن ذلك جاء من خلال دفع مبلغ كبير من المال، وعندما كانوا على طريقهم عائدين، بعد تسويتهم لأعمالهم بصعوبة كبيرة، وصلتهم أخبار بأن رئيس رهبانهم المنتخب قد مات للتو، وأن آخر جرى تعيينه في مكانه بأقصى سرعة ممكنة، ولذلك استأنفوا وهم حزينين كثيراً مهمتهم الماضية بالسفر إلى بلاط روما.

## *انتخاب غودفري دي كاينتون رئيساً لأساقفة يورك*

وفي الوقت نفسه، اجتمع الكهنة النظاميون في يورك وانتخبوا عميدهم المعلم غودفري أوف كاينتون Kineton رئيساً لأساقفة يورك، وقد ذهب بشخصه إلى بلاط روما، وبعد كثير من المصاعب والنفقات أنهى أعماله نهاية مرضية، وعاد إلى الوطن سالماً.

## *الموتان الذي تسببت به المجاعة بين الناس*

وانتشرت في تلك الآونة نفسها مجاعة كبيرة ومميتة في البلاد، حتى أن مكيال القمح ارتفع ثمنه إلى خمسة عشر شلناً وأكثر، وكان ذلك في وقت كانت فيه البلاد قد انعدمت فيها الأموال، وهكذا كانت هناك أعداداً لاتحصى من الجثث ممددة في الشوارع، وما من أحد في الحقيقة كان بإمكانه أن يتذكر بأنه شاهد من قبل مثل هذا الشقاء وهذه المجاعة، مع أنه كان هناك كثيرون ممن شاهدوا الأسعار ترتفع أكثر مما كانت

عليه الآن، ومالم يتم جلب القمح من القارة للبيع، فإن الأغنياء سوف يكون بإمكانهم بصعوبة النجاة من الموت، وعلاوة على ذلك كانت جثث الموتى ملقاة فوق أكوام القمامة والأوساخ في الشوارع، وهي منتفخة ومهترئة، ولم يكن هناك أي واحد ليقوم بدفنهم، كما أن المواطنين لم يتجرأوا ولم يختاروا استقبال الموتى في بيوتهم، خوفاً من العدوى، وكانت أيضاً ندرة الأموال كبيرة جداً، حتى لو أن القمح بيع بسعر صغير للمكيال، بات من النادر وجود أي واحد يمكنه امتلاك الإمكانات لشرائه، لكن الرب لكونه رحيماً قدم العلاج بشكل سريع، حسبما تقدم الذكر أعلاه.

## *مغادرة إخوة الملك لأمه وسفرهم من إنكلترا*

في ثمانية تحويل القديس بندكت، أي في الثامن عشر من تموز، قال إخوة الملك الذين تقدم ذكرهم وداعاً للانكليز، ثم قاموا بمغادرة انكلترا مصحوبين ببعض البواتيين الآخرين، وكان من بينهم وليم دي سينت هيرمس (الذي اعتاد على الوقوف إلى جانب الملك أثناء تناوله للطعام، مع منديل اصبع وكان يقطع اللحم له)، وأعداد كبيرة أخرى من الذين ظلموا المملكة كلها، ونهبوا ثرواتها، وخاصة نقودها، وأراح هؤلاء البواتيون أنفسهم أولاً في وينكستر، وبعد ذلك في بيت عائد للأسقف المنتخب لوينكستر في ساوثوورك Southwark في لندن، ولقد روي بأن كثيراً من نبلاء انكلترا قد تأثروا من السم هنا وهناك، وتبرهنت النتيجة أن ذلك كان حقيقة، ولدى وصولهم إلى شاطىء البحر، عهد بهم النبلاء الذي قادوهم إلى هناك عهدوا بهم إلى عناية إله البحر نبتون Neptune, وعند وصولهم إلى بولون Boulogne كتبوا إلى الملك الفرنسي لكي يسمح لهم بالسفر بأمان خلال بلاده، أو أن يقيموا هناك لبعض الوقت، وفقاً لامتياز فرنسي قديم ولعرف موجود، كما طلبوا اذناً للأسقف المنتخب لوينكستر

بالبقـاء بعض الوقت في بـاريس بمثابـة باحث، لكن الملك الفـرنسي رفض، لأنه كـان غـاضبـاً، بسبب الشكاوى التي عملتهـا ملكة انكلترا، وأضـــاف الملك بـأنهم قـــد طـردوا من انكلترا «بشكـل مهين بسبب جرائمهم».

وعندمـا سمع بهذا هنري ابن ايرل ليستر، قـام فجأة بعبـور القنال لمهاجمتهم، وفعل ذلك إما من دون علم أبيه، أو ضد ارادته، أو ربما كان ذلك برضاه، ولدى وصـوله إلى هناك التقى بعدد من الأصـدقاء، الذين كـانوا صـدوراً عن احترامهم لأبيـه ولتعـاطفهم معـه، كـانوا جـاهزين للانتقام للأضرار التي لحقت بـه، لأنه تحدث كيف أن وليم دي بلنسية، قام معتمداً على حظوة ملك انكلترا، وتأييد اخوانه الآخرين الذين كانوا حضـوراً، فتجـاوز جميع الحدود بشتـائمـه في بـارلمان لندن، واتهم أبيـه بالكذب بشكل معلن، وفعل ذلك ضد الايرل وسماه خـائناً قديماً، الأمر الذي أدهش كثيراً من سكان القـارة حيث عجبوا كيف قـام أناس أدنى نبالة منه، وأكثـر قرابة أيضـاً من الملك، فرغبـوا أو تجرأوا على تقريع أو تشويه سمعة مثل ذلك النبيل في مكانته السامية، وذلك سواء بالقول أو بالفعل، ذلك أنه نبيل الأصل، وواحداً من أعظم النبلاء جميعاً وأعلاهم مكانة ســواء في داخل الوطن أم في القـارة، وعـلاوة على ذلك، إنه لم يكن لائقـاً، كما أنه كـان من الصعب التصـديق بأن رجـالاً مـرتبطين بالملكية يمكنهم التفوه بمثل تلك الكلمات المهينة.

وبناء عليـه لدى سماع أصـدقـاء الايرل بـالحقيقـة ومعـرفتهم بها، استعـدوا لـلالتحـاق بجـون في حملتـه على البـواتيين، وعندمـا عـرف البـواتيـون صـورة الأوضـاع، انسحبـوا بصـورة سرية إلى بولون، لكن مطارديهم أداموا مراقبـة المكان من جميع الجهات، من البحـر ومن البر، وهكذا قاموا بتطويقهم، وجردوهم من جميع وسائل النجاة، وكانوا الآن أحراراً في انهاكهم وازعاجهم حسبما يستحقون.

## كيف اعترض قسطلان دوفر مبلغاً كبيراً من المال وصادره

قام رتشارد غري Gray, الذي كان رجلاً شجاعاً ومخلصاً، والذي كان أيضاً قد جرى تعيينه قسطلاناً لدوفر، لصالح البارونات، بفحص جميع الأشخاص الذين عبروا أو أرادوا العبور من خلال ذلك المكان بكل دقة، وأثناء فحصه الدقيق لكل ما كان ينقل إلى هناك، وقف في حوالي هذا الوقت على مبلغ كبير من المال، كان سينقل سراً من هناك من قبل البواتيين المذكورين، وقد استولى عليه كله واحتفظ به في القلعة، وفي الهيكل الجديد في لندن، جرى أيضاً الاستيلاء على مبلغ كبير، وصل إلى حجم أنه أثار الدهشة العظيمة للذين سمعوا به، وكان مخفياً هناك من قبل البواتيين المذكورين، مع أن فرسان الاسبتارية حاولوا أن ينكروا ذلك، وجرى الاستحواذ على المال، ليجري انفاقه بشكل نافع، تحت اشراف كل من الملك والبارونات، من أجل منفعة المملكة.

## رغبة الويلزيين في تقديم اعتذار مذل إلى ملك إنكلترا

وفي هذه الآونة نفسها تقدم الويلزيون، الذين تشاجروا مع ملك انكلترا وحصلوا على سمعة سيئة لديه، بعروض سلام مشرفة، وأعلنوا عن أنفسهم أنهم جاهزين لتبرئة أنفسهم في محكمة قضائية، من جميع التهم التي وجهت ضدهم، وكذلك من تهم القتل والنهب والسلب.

## كيف قبل اللندنيون بالمشاركة بقرارات البارونات

وجرى في عيد القديسة مريم المجدلية إرسال رسل خاصين إلى لندن، وذلك من قبل جماعة انكلترا كلها، وهناك دعوا المواطنين الذين كانوا معينين بمثابة بارونات للاجتماع في الغيلدهول Guildhall, وكان السؤال الذي عرض عليهم، عما إذا كانوا باخلاص سوف يقبلون بالمشاركة بقرارات البارونات، وإذا ما كانوا سيلتحقون بثبات بقضيتهم، وتقديم مساعدة فعالة إليهم في الوقوف ضد خصومهم، وعلى هذا

قدموا جميعاً الموافقة عن طيب خاطر، وكتبوا صكاً بتأكيد هذا الشيء، وختموه بالختم العام للمدينة، لكنهم لم يكن بنيتهم الإعلان عن القرارات التي اتخذت، بسبب مرض ايرل غلوستر، الذي نشأ عن بعض السم، الذي دس إليه، وذلك حسبما قيل بشكل عام، هذا وكانوا قد أملوا بأنه سوف يتعافى من مرضه لأن مايشبه الدماء خرج من البثور الكثيرة التي ظهرت على جسده، وعلى شعره، وعلى أظافره، كما أن جلده قد تساقط، وتساقطت أيضاً أسنانه، وهكذا حلق وتطهر، وعهد به للعناية وللمعالجة الطبية للمعلم جون أوف سينت جايل، الذي كان راهباً من طائفة الدومينيكان، وهو الذي كان قد عالج من قبل روبرت أسقف لنكولن، وشفاه من مرض مماثل.

## *كيف جرى تسميم عدد من النبلاء في إنكلترا*

وبدأ الآن كثير من نبلاء انكلترا الذين جرى سمهم في الوقت نفسه —كما قيل— من قبل البواتيين، يتلاشون في أنفسهم، وفارقوا هذه الحياة، في حين بقي آخرون يتأرجحون بين الحياة والموت، وكان بعضهم علمانيين ذوي مراتب وسلطة، وكان آخرون رجالاً نبلاء ومتعلمين، وليس واضحاً بعد للانكليز فيما إذا كان البواتيون قد دسوا لهم السم، لأنهم اعتقدوا بأن هذا المرض ربما قد صدر عن مصيبة أخرى، وأظهر نفسه بشكل واضح، وكان هناك، علاوة على ذلك، بعض الأشرار الذين يدسون السم، الذين خلفهم البواتيون، وكانوا متورطين في بعض الخطط الشريرة، وأعمال التآمر ضد النبلاء، ونتيجة لذلك شعر النبلاء بالريبة وتشككوا بمتعهدي الأطعمة، والطباخين، والسقاة، وخشيوا من أن يكونوا قد ارتشوا لاقتراف جرائم مماثلة ضد سادتهم.

## *عدم استقرار فولك أسقف لندن*

أثناء وقوع هذه الأمور الصعبة والمهمة، وخلال هذه الترتيبات الجديدة والسعيدة جداً لمسائل المملكة، كان فولك أسقف لندن غير

متوائم بالمرة، وكسول وفاتر الهمة، وبسلوكه على هذه الصورة آذى سمعته الجيدة وزاد من ذلك، بسبب أنه رفع شأنه بسبب أصله، أكثر من البقية، وبما أن آمال البارونات قد رست عليه، فإن سلوكه قد أغضبهم، لأنهم اعتمدوا عليه لتسويغ الملك مع الناس.

## *الكلام القاسي للملك الذي وجهه إلى إيرل ليستر*

وتزايدت مخاوف البارونات وقلقهم بالقدوم إلى شهر تموز، مع وبائه المفترس، واشتداد انتشار أمراضه، الأمر الذي يثير الهواء الساكن، والذي أخافهم أكثر من أي شيء آخر هو تفاهة الملك وتقلباته غير المنضبطة، الأمر الذي اكتشفوه وتأكدوا من وجوده من الكلام التالي الذي تفوه به، ففي أحد الأيام كان قد غادر قصره في ويستمنستر، وصعد ظهر أحد المراكب ليتناول غداءه، وليتمتع برحلة فوق نهر التيمس، ووقتها أصبحت السماء غائمة، وجاءت عاصفة مترافقة بالبرق وبمطر ثقيل، والملك الذي ارتعب من العاصفة من هذا النوع أكثر من أي شيء آخر، أصدر أوامره بالرسو به على الفور، وكان المركب آنذاك مقابل القصر الفخم لأسقف درم، حيث كان ايرل ليستر مقيماً آنذاك، وعندما عرف الايرل بوصول الملك، ذهب مسروراً لاستقباله، وفي سبيل تهدئته قال له: «مم أنت خائف، لقد ذهبت العاصفة الآن وزالت»، وعلى هذا الكلام ردّ عليه الملك ليس مازحاً، بل جاداً كل الجد قائلاً: «إنني أخاف من الرعد ومن البرق بدون قياس، ولكن بحق رأس الرب، إنني أخاف منك أكثر من جميع الرعد والبرق في العالم»، وردّ عليه الايرل بلطف قائلاً: «هذا غير عدل وغير معتمد يامولاي، بأن تخافني، وأنا صديقك الثابت، فأنا دوماً مخلص لك ولذويك ولمملكة انكلترا، والذي عليك بالحري هو أن تخاف من أعدائك، ومن المدمرين لك، والذين يتملقون لك زيفاً ورياء»، وتوجس كل واحد بأن هذه الكلمات قد خرجت متفجرة من الملك، لأن ايرل ليستر قد أصر

على قرار ارغام الملك على القبول بالقرارات التي اتخذت، وكذلك ارغام جميع الذين وقفوا ضدها، ليحولوا دون الوقوف إلى جانب خططهم، ودون الطرد الكلي لإخوته، الذين تسببوا بإفساد المملكة كلها.

## العثور إثر وفاة برنارد على صندوق مليء بالأوراق البيضاء مختومة بالختم البابوي العظيم

وفي حوالي هذا الوقت نفسه مات المعلم برنارد دي نيمفا Nym-pha فجأة، وكان من أهالي ضواحي روما، وكان رجلاً بارعاً وغنياً، وعمل كاتباً لدى رتشارد ايرل أوف كورنوول، واستخرج المال من الصليبيين بحجج مريبة، وعثر بين مقتنياته على صندوق مليء بأوراق مختومة بالختم البابوي العظيم، وهي أوراق كان من الممكن ملئها حسب الرغبة، واستخدامها في أي مجال سيء، مثل استخراج المال بطريقة فاسدة قائمة على الغش، من الفقراء، وكأن ذلك بوساطة سلطات البابا وتفويضه.

## اجتماع أساقفة إنكلترا في أكسفورد

وحوالي الوقت نفسه، وجهت الدعوة إلى أساقفة انكلترا بشكل عام للاجتماع في اكسفورد، من أجل القيام بتطوير وإصلاح أحوال الكنيسة الانكليزية المترنحة، والتي دفعت بطرق مضاعفة كثيرة إلى هنا وهناك، وباتت مهددة بخطر السقوط كلها مع بعضها، وقدم إلى ذلك المكان أربعة أساقفة، قد جرت انابتهم هناك من أجل قصد معين، وهؤلاء هم أساقفة: نورويك، وشيكستر، واثنين آخرين، أنا لم أتذكر اسميهما، ودعا هؤلاء الأساقفة جميع رؤساء الرهبان المعفيين مع آخرين من الطوائف الأخرى، أو حماتهم الأقوياء، لأنهم رغبوا في أن يعرفوا فيما إذا كانوا سيقبلون بالمشاركة بمبادئهم وقراراتهم، وهل سيقف الأساقفة إلى جانبهم ويتحدوا معهم في تأييد الشيء نفسه والدفاع عنه، ولكن بما أن

بعض الأساقفة كانوا غياباً لسبب أو لآخر، ولأن بعضهم قد ترددوا في إعطاء موافقتهم، لم يتمكنوا من تقديم جواب ايجابي آنذاك، ولذلك غادروا جميعاً، تاركين الأعمال دونما انتهاء، وقد جرى تقديم المبادىء في كتاب Additaments.

## *العثور على السم*

بعد مضي وقت قصير، انتشر تقرير، وعملت شكاوي، بأن سماً قاتلاً قد دسّ إلى أناسٍ متنوعين في انكلترا، وبشكل خاص إلى النبلاء، وأن مؤثراته كانت آخذه بالانتشار في مختلف الاتجاهات بصورة محزنة، وبرهنت نتيجة الأحداث التي ورد ذكرها أعلاه، على الفور بأن هذه كانت حقيقية، لأنه تمّ العثور في بعض الأماكن السرية كثيراً، على بعض الجرار التي يطلق عليها بشكل عام اسم Cortrells, وجرى فتح مغاليقهم بصعوبة كبيرة، وقد وجدوا فيهم، وفقاً لتقرير عام، سائل أزرق، وكان سماً مميتاً، وهو قد عرض على بعض الكلاب الجائعة، فرفضت تذوقه، ولكن عندما جرى مزجه مع أطعمتهم الأخرى، وقدم إليهم، تناولوه فماتوا على الفور، وقد قيل بأن هذه كانت مؤامرة من الأجانب لتسبيب الموت إلى الانكليز.

## *وحشية الأسقف المنتخب لوينكستر نحو واحد من الكهنة*

ولقد حدث، قبل وقت قصير مضى، أن قام جون فتز— غيوفري، الذي كان المسؤول عن العدالة في ايرلندا، وكان مشهوراً بأصله النبيل، وغنياً، وقوياً، بإعطاء كنيسة إلى واحد من كهنته، ولدى سماع الأسقف المنتخب لوينكستر بهذا، ادعى أنه يمتلك حق الاشراف على الكنيسة نفسها، وأمر وهو في حالة غضب شديد بطرد الكاهن المذكور منها، وأنه إذا ماأبدى أية معارضة، بأن يجري سحبه منها بإهانة وقوة، وأن يرمى به في أي مكان قذر.

وبناء عليه قام وكلاء الأسقف المنتخب المذكور، بطرده من الكنيسة بوحشية كبيرة، ولأنه عبر عن دهشته ضد تصرفاتهم، أظهروا صفاقتهم ضده، إلى حد أنهم أرادوا قتله، وأهانوه، وضربوه، وجرحوا بعضاً من خدمه، وطردوهم من بيوتهم، ونهبوا الكنيسة، وتمت معاملة بعض خدم الكاهن المذكور بصورة لاإنسانية بشعة، إلى حد أنهم انهاروا وماتوا خلال أيام قصيرة، ونقلت أخبار هذه الفعلة الشنيعة إلى الحبر الروماني من قبل بعض البارونات، وعندما سمع رجل العدالة المتقدم ذكره بها، غضب بشكل محق، وتقدم بشكوى إلى الملك، الذي تصرف حسبما كانت عادته، فحاول أن يلطف خطيئة الأسقف المنتخب، وحث الفئة المتشكية على عدم فضح الأسقف المنتخب، باتهامه بمثل ذلك الذنب الكبير، وبعدم اتخاذ أي اجراء قضائي ضده، ولذلك عبر جون المتقدم ذكره بالقضية وتجاوزها صامتاً، وانتظر وقتاً أكثر مواءمة للانتقام، وعندما وجد في الوقت الحالي، أن جبروت البو اتيين قد انهار، جدد شكواه، واتهم واحداً من البواتيين، كان خادماً للأسقف المنتخب المذكور لوينكستر، باقتراف الجريمة الكبرى، والأسقف المنتخب نفسه، بأنه هو الذي أمره باقتراف الجريمة.

## *نقاهة إيرل غلوستر*

ووجد ايرل غلوستر —الذي كان مقيماً في سننغ Sunning, وهومكان قرب ردنغ نفسه— وقد أخذ بالتحسن بعض الشيء في صحته، ومع ذلك لم يتجرأ، بسبب خبث مرضه، أن يزعج نفسه، خشية من أن يستعيد شدته ثانية، ذلك أنه كان يعاني من الآلام في الداخل والخارج، داخلياً بسبب موت أخيه و. W, الذي بسبب فقدانه حزنت انكلترا كلها، وخارجياً، مع أنه كان ناقهاً، كان قد تشوه بشكل مخيف، حيث فقد شعره، وكذلك بشرته، في حين باتت أسنانه وأظافره وضيعة وشاحبة، وتهدد بالسقوط منه.

## كيف دمر الشيخ برانكليون حصون بعض قطاع الطرق

ووجد في هذا العام أيضاً الشيخ الروماني برانكليون أن وقاحة النبلاء الرومان وتجبرهم أمر لايمكن قمعه إلاّ بطريقة واحدة هي تدمير قلاعهم، التي كانت بالواقع مكاناً للاختباء لرجال العصابات وقطاع الطرق، ولذلك تولى تدمير حوالي مائة وأربعين من قلاع النبلاء المذكورين، وأمر أن تجتث إلى الأرض، وهكذا أمكن استرداد السلام والهدوء بشكل كامل، وبذلك تفرق قطاع الطرق الذين يسمونهم Birri ومعهم جميع الآثمين والجناة، في كل من روما نفسها والمناطق المحيطة بها.

## الشكاوي التي رفعت ضدّ البواتيين

وأرسلت التعليمات إلى كثيرين ممن تعرضوا للأذى بشكل مهين وللأضرار والاعتداءات من قبل البواتيين الذين تقدم ذكرهم، للتقدم بشكاويهم حول القضايا المتعلقة بهم، مع إعطاء براهين حول الأضرار التي لحقت بهم على أيدي إخوة الملك المذكورين، وتم التأكيد لهم أنهم إذا ماعرضوا شكاويهم مؤيدة ببراهين جيدة، وتابعوها بإصرار، فإن كل تعويض سوف يقدم إليهم، وفقاً لما تمليه العدالة، ولكن بما أن موسم الحصاد بات وشيكاً، ورأوا أنه من غير الموائم متابعة مثل هذه الإجراءات، ولربما ستكون متاعبهم واضطراباتهم، بعد كل شيء، من دون هدف ومحصلة، لذلك رفضوا متابعة شكاويهم، إلى أن يروا مناسبة أفضل.

## كيف سمح للبواتيين بالعودة إلى الوطن من خلال فرنسا

وبما أن إخوة الملك المتقدم ذكرهم كانوا محاصرين ومضيق عليهم في بولون، حسبما تقدم الذكر أعلاه، بعثوا رسولاً موثوقاً إلى ملك فرنسا، ورجوه بتواضع، بأن لايتخلى عن الذين فروا للالتجاء إلى صدر حمايته

أثناء اضطراباتهم، بل بالحري التعامل معهم وفقاً لامتياز مملكته (الذي ألزمها باستقبال من فرّ إليها وحمايته بسلام) بإرسال رسل سلام، وأدلاء من أجل رحلتهم، والسماح لهم بالمرور خلال مملكته، وهم على طريقهم إلى بواتو، وجرى قبول هذا الطلب عن طواعية من قبل ذلك الملك العظيم التقوى، وما من أحد يشك أن اظهار الرحمة نحو التعساء —مع أنهم لم يستحقوا ذلك— هو تمام الإحسان.

## *زيادة المجاعة بسبب دمار الموسم بالأمطار الثقيلة*

وفي هذه الآونة أيضاً، أي في نهاية تموز وبداية آب، وبسبب عجز المواسم في هذا العام وكذلك في العام المنصرم، ازداد الشقاء، والعوز، وانتشرت المجاعة، حتى أن الذين اعتادوا على مساعدة الآخرين باتوا الآن بين الأشقياء الذين هلكوا من العوز، والذي أرعب الفئات الدنيا من المجتمع أكثر من النبلاء هو استمرار تساقط الأمطار الغزيرة، التي هددت بتدمير مواسمهم، التي كان الرب قد أعطاهم آمالاً حولها من قبل، وباختصار نقول كانت انكلترا سوف تسقط عجزاً بنفسها لولا أنها أعيدت إلى الحياة، بوصول بعض المراكب العائدة إلى التجار من القارة، حيث كانت محملة بالقمح والخبز للبيع، وقد جاءت من هولاندا وألمانيا، لكن بقي هناك أن كثيرين كانوا قد أنفقوا أموالهم كلها، قد ماتوا من الجوع والعوز، وكان من الممكن رؤية أشخاص من المراتب العليا، امتلكوا من قبل وفرة من جميع الأشياء، لكن جميع ثرواتهم قد أنفقت تماماً، لذلك أرغموا الآن على العيش على صدقات الآخرين، والتسول من باب إلى باب، وقد غلبهم الحياء، وكانت وجوههم شاحبة من الجوع ومن الحاجة إلى الراحة، ولتمضيتهم لياليهم من دون نوم، في أسى وفي نحيب، وفي أيام عيد صعود العذراء المباركة، عندما تمتلىء الاهراءات بالعادة بالحبوب السنوية، نادراً ماكانت هناك سنبلة واحدة ناضجة، ونظراً لازدياد تساقط الأمطار يومياً، كان العمال الأجراء

وقطعانهم يتكلفون نفقات عالية جداً، دون أن يستطيعوا مغادرة بيوتهم، أو القيام بأي عمل مفيد في الحقول، ونتيجة للظروف التي لم تكن معروفة من قبل، كانت مواسم القمح جاهزة في يوم عيد جميع القديسين للحصاد، لكنها كانت بلافائدة، وشبه تالفة، وحدث في بعض الأماكن أن كانت هناك بعض المزروعات صالحة للاستخدام بعض الشيء، ولذلك حصدت ونقلت، لكن في كثير من المناطق الأخرى تركت كلياً في الحقول لاستخدامها بمثابة سماد لإغناء التربة، وينبغي أن يكون معلوماً أيضاً، أن الأرض لو أنتجت في ذلك العام موسماً وافراً، لكان من الممكن انقاذ كل شيء، ولكانت وفرة المواسم كافية لمدة تقارب العامين حتى يمكن استهلاكها.

## *الإعلان عن صوم والمسيرة التي أعقبت ذلك في سبيل الحفاظ على المواسم*

وبما أن جميع وسائل المواساة الإنسانية قد أخفقت، تمت العودة الآن إلى المواساة اللاهوتية، ولذلك تقرر في اجتماع عقد في مقر الهيئة الكهنوتية في كنيسة القديس ألبان، أنه ينبغي القيام بصوم عام ومهيب، ويتوجب الإعلان عن ذلك بين الناس، من قبل رؤساء الشمامسة في جميع الكنائس في تلك البلدة، وأن السكان عليهم جميعاً الاجتماع بتقوى عميقة في يوم عيد القديس أوسوولد Oswald, الذي يقع في التاسع من آب، وأنه ينبغي أن يتبع ذلك مسيرة يقوم بها رهبان الدير وهم حفاة، إلى كنيسة القديسة مريم في الحقول، ثم أن يقوموا هناك بالتقدم بالرجاء إلى الرب وإلى أمه حتى يتوليا رحمة الناس، ولكي يشفق الرب ويستجيب للأدعية، وبفضل وجود أمه هناك، فيعيد الأنواء إلى شكلها الطبيعي.

ولدى سماع شعب لندن بهذا، لاموا أنفسهم لتباطئهم، وتأثروا بهذا المثل الذي ضرب، ولذلك قرروا القيام بصوم عام، تم فرضه على

الطوائف الرهبانية وعلى مواطني وسكان المدينة، وأن على الناس من كلا الجنسين الالتزام بالندم والتوبة، والمشاركة بالمسيرات، وأن يتم تناوب ذلك بين بعضهم، وبين الكنائس، وأن يقدموا صلوات تقية مخلصة إلى الرب، بأن يحفظ ثمار الأرض، الأمر الذي أعطى أملاً به، بمنحهم موسماً هادئاً وموائماً، وذلك للسماح للناس بجمع حصادهم وحبوبهم ووضعها في الاهراءات، وذلك بوساطة ضبط تساقط الأمطار وايقافها، لأنهم قالوا: «نحن يمكن أن نتحمل بصبر أكبر اخفاق اللامرئي، أكثر من سحب المنفعة بعدما تقدم الوعد بها»، وجرى تنفيذ هذه القرارات عن طواعية وباخلاص وتقوى، ومالبثت النتائج أن تبرهنت على الفور أنها فعالة، ذلك أنه خلال وقت قصير، حدث بوساطة تدخل تلك المحامية الأكثر قوة عنا [العذراء مريم]، والشهيد المبارك ألبان، مع القديسين الآخرين، أن توقف المناخ السيء الذي استمر طويلاً جداً، أو صار يأتي لماماً، ونزلت أسعار القمح منذ ذلك التاريخ، حتى بيعت الحبوب بنصف السعر الذي كانت تكلفه من قبل، لأن الصلوات الخالصة للناس، وماتبع ذلك من تغير في الأنواء، والمناخ قد وعدوا بموسم وافر سريع في كل من القمح والفواكه.

## وفاة هنري ليكسنغتون أسقف لنكولن

في الثامن من آب مات هنري ليكسنغتون، أسقف لنكولن في نيتلنغتون Netlington وهي عزبة عائدة له قرب لنكولن، وقد دفن جسده، مع كل الاحترام المستحق في الكنيسة الكاتدرائية في لنكولن.

## مغادرة هيرلوت مندوب البابا لإنكلترا

مع اقتراب حلول عيد صعود العذراء المجيدة، غادر هيرلوت مندوب البابا، انكلترا، وكان موثقاً ومستشاراً خاصاً للبابا، وجاء إلى

انكلترا مسلحاً بأعظم السلطات من البابا، ولكن عندما شاهد الأوضاع المضطربة للمملكة، قام بتعقل بالمغادرة بهدوء، حتى تهب رياح السلام والوحدة، وتكون الأوضاع أكثر مواءمة له.

## مصادرة بعض الأموال العائدة للأسقف المنتخب لوينكستر

وفي الوقت نفسه تابع حاكم دوفر مراقبة يقظة على الساحل، وقام بتفتيش دقيق لجميع المسافرين،الذين وجد عدداً كبيراً منهم محملين بالنقود المحبوبة كثيراً، وكانت منقولة لصالح الأجانب، وخفف عن هؤلاء الأشخاص أحمالهم، حتى يمكن أن يسافروا بسهولة أكبر، وجرى في هذا الوقت بالذات العثور على ألف مارك، عائدة إلى الأسقف المنتخب لوينكستر، وكان قد أودعها في دوفر، وأعطيت هذه الأموال إلى أربعة فرسان، وقدمت إليهم نقداً، لتجهيز ماهو ضروري لرحلة، كانوا ربما سيقومون بها إلى روما، وذلك باسم الملك وباسم نبلاء انكلترا، ليترافعوا لصالح قضية البارونات، من دون أي خلاف أو تأخير، وليعلموا البابا بخبر العثور على أوراق بيضاء مختومة بالختم البابوي الكبير، في صندوق عائد إلى المعلم بيرارد دي نيمفا، وكان ذلك بعد وفاته، وليبرهنوا له في الوقت نفسه بوساطة هذه الأوراق البيضاء المختومة، وليروه البدع الكثيرة، والكثيرة المضاعفة، التي سعى الرومان بوساطتها لتلويث البلاد، وأخذ المندوبون معهم هذه الأشكال من الأوراق البيضاء المختومة بالختم البابوي الكبير، وقت اكتشافهم.

## قلق ملك فرنسا من أجل إقامة سلام دائم مع إنكلترا

كان ملك فرنسا الأكثر تقوى، يدرس بنشاط الوسائل التي تمكن من إقامة سلام دائم بين مملكتي فرنسا وانكلترا، لأنه قال: «ينبغي بذل أعظم الجهود في سبيل تأسيس سلام ثابت ودائم بين أبنائي وأبناء ملك انكلترا، الذين هم أبناء خالة، والذين سوف يكونون بفضل الرب

ملوكاً، حتى لاتستمر المملكتان بقضم بعضهما بعضاً، بناء على إثارة عدو الجنس البشري، ولكي لايقوم السكان بتبادل أعمال النهب، وقتل بعضهم بعضاً، وبذلك سوف يقذفون في جهنم»، ولذلك أمر بجمع مبلغ كبير من المال، حتى يساعده على تنفيذ خططه التي أبدعها في عقله، واعداً رعاياه الفرنسيين بأنهم سوف يجنون منافع كبيرة من اسهاماتهم، ورجاهم أن لايغضبوا من التكليف القصير العمر، الذي منه سيحصلون على منافع دائمة للمستقبل.

## *تعيين أربعة فرسان في كل كونتية للبحث في مآسي الفئات الدنيا*

وصدرت في هذه الآونة مذكرة عن الملك إلى كل كونتية، موجهة إلى أربعة فرسان يجري تعيينهم في كل كونتية، للقيام ببحث دقيق ومخلص في طبيعة المظالم وسماتها والمآسي التي عانت منها الفئات الدنيا على أيدي جيرانهم الأكثر قوة، وليتولوا الفحص بكل دقة والتمحيص في سبب كل شكوى وأذى، تسبب به أي واحد كان، وأنزل بأي واحد من الناس، وذلك لوقت طويل مضى، ولكي يجلبوا نتائج فحوصاتهم، مغلقة تحت أختامهم، حتى يعرضوها أمام البارونات في موعد جرى تحديده في تلك الرسائل، التي من الممكن الوقوف عليها في كتاب Additaments.

## *غضب الملك ضد فيليب لوفل*
## *بسبب الأضرار التي لحقت بالغابات*

ومع بداية أيام الحصاد من هذا العام، قام الملك بفحص دقيق في أوضاع غاباته في أحواز ستوني ستراتفورد Stony Stratford, وقد نمي إليه بأن فيليب لوفل الذي كان كاتباً ومستشاراً خاصاً به مع خازنه، قد تسببا بأضرار لاتعوض للغابات الملكية، وكان الملك في الحقيقة قد منحه بشكل حر وبكرم ملكي عدداً من الحيوانات للاحتفاظ

بها في حدائقه، ولاستخدامات مائدته، غير أنه أساء استخدام معروفه، وبلا حياء تجاوز العدد المسموح به إليه، فوصل إلى درجة عشرة أضعاف، كما أفاد التقرير.

وغضب الملك غضباً شديداً تجاه هذا، وقام بفحص داخل الغابات، فوجدهم فارغين من الحيوانات، وأخبر —كما ذكرنا أعلاه— بأن فيليب لوفل كان السبب في هذا، فأمسكه بقسوة من ذراعه قائلاً: «فيليب، بحق رأس الرب، إنني أعتقلك بحكم كونك الأكثر انحطاطاً بين رعيتي»، وكان فيليب راغباً في تهدئة غضب الملك، لذلك رد عليه بلطف واعتدال وتذلل قائلاً: «مولاي الملك، الذي أنا خدمتك باخلاص لبعض الوقت في بيت مالك، هناك عدد كبير من المسؤولين عن الغابات، وبشكل خاص في ويتلوود Whittelewood, الذين مارسوا الطغيان ضد أتباعهم من سكان الريف، والذين حولتهم جرائمهم إلى أناس لايمكن تصديقهم، وذلك حسبما يمكن لرئيس رهبان ورهبان دير بيكل Beccles أن يبرهنوا، ولذلك —إذا تفضلت— لاتصغ بسرعة للإفادات السرية والخفية لمثل هؤلاء المتهمين، لأنهم يسعون إلى تشويه سمعة الملك، حتى يمتلك أعداءه سبباً للقول: ينتهي الملك، مثل الشيطان باعتقال وتدمير الذين خدموه، حتى أن ذلك طال الذين خدموه على أحسن مايرام في وظائفهم»، وأثير الملك أكثر بهذا الكلام، وأمر بإيداع فيليب في سجن المارشال، وهو يقول بصوت مرتفع: «بما أنني رفعت من شأنك مع آخرين، وبفضل مني عينتك في وظائف عالية ومربحة، ولذلك توجب عليك خدمتي بدقة أكثر وباخلاص أعظم، ولهذا إنك تستحق أن تعاقب بشدة أكبر لأخطائك وآثامك»، وهذه الكلمات نفسها قد اعتاد أن يستخدمها مراراً ويقولها إلى روبرت باسليف، عندما أخذ ذلك الشخص بالتمرد على سلطته، قبل بضع سنوات خلت، لكن فيليب، الذي كان قد عمل

أعمالاً صالحة لكثير من الناس، لم يكن من دون أصدقاء، ولدى عثوره على بعض الأشخاص من ذوي المراتب العليا كفلاء له حتى يستطيع اثبات براءته، أطلق سراحه لبعض الوقت، وذلك إلى أن يتمكن كما أمل بأن يتم اطلاق سراحه تماماً.

## إلقاء عمدة نورثأمبتون في السجن

اقتفى عمدة نورثأمبتون طريق سلفه، وليم دي لآيل، الذي كان عمدة قبله، وقلده حيث أثير بالشره، فألحق الأذى بعدد من الأشخاص الأبرياء، وعملت شكاوي حول سلوكه إلى هوغ بيغود، المسؤول الرئيسي عن العدالة، فوجده مجرماً باقتراف عدد من أفاعيل الأذى والظلم، ومع اقتراب حلول ميلاد مريم المباركة، اعتقل، وأودع في سجن مضيق عليه، وقد نجا بذلك بصعوبة بحياته.

## وفاة روجر أوف ويكهام

وفي هذه الآونة مات روجر أوف ويكهام Wickham, وكان كاتباً خاصاً ومستشاراً للملك، وقد شغل منصب المسؤول عن العدالة، واستخدم غاية جهده لتقديم الترضية للملك بتنفيذ أوامره.

## وفاة وليم أوف تارنتوم

ومات في هذه الآونة أيضاً وليم أوف تارنتوم Tarentum, وكان راهباً من طائفة رهبان السسترشيان، وكان ناظراً ونوعاً ما قهرماناً للملكة، وقد ضل هذا الرجل وابتعد كثيراً عن أحكام القديس بندكت، وكان مشاراً بشره لايعرف الاستقرار ولاالشبع، فقام إما ببيع أو برهن جميع الممتلكات والعزب لصالح الملكة، حيث زاد بذلك بشكل واسع ممتلكاتها، لكنه بزيادة خسائر الآخرين وتعريضهم للمخاطر، أساء إلى سمعته بشكل لايمكن تعويضه، ومع أن الرهبان، خاصة الذين كانوا من طائفته، وجه إليهم اللوم من أجل أخطاء وليم المذكور، وجرى

تقريعهم معه، وجلب هذا سوء السمعة للطائفة كلها، مع ذلك صنعت له الملكة الأعذار، ورخصت أغلاطه، وبذلك سمحت لذنوبه بالازدياد لسنين كثيرة.

## *كيف جرى إرسال رسل إلى البابا باسم جماعة إنكلترا*

وجرى ارسال رسل خاصين إلى البابا باسم المملكة وجماعة انكلترا كلها، مع أوامر بتقديم رسائلهم على الفور، ومن ثم العودة بأقصى سرعة ممكنة، من دون انتظار أو اصغاء إلى أية مناقشات أو مباحثات، وكان واحداً من هؤلاء هو بطرس برانشي Branche, وكان رجلاً من أكثر الناس فصاحة وتقوى، وقد مات في باريس، مما نشر الذعر وسبب الحزن للبقية، غير أنهم تابعوا سفرهم، بتصميم على الاستمرار، وتحقيق غرض بعثتهم، وكل من يرغب في معرفة هدف رحلتهم، وأن يرى نسخة عن الوثيقة التي كتبت من قبل البارونات، يمكنه أن يجدها في كتاب Additaments.

## *الخيانة التي اقترفت ضد الويلزيين*

وفي إحدى المناسبات، عندما كان الانكليز عاقدين لمراهنات سلمية مع الويلزيين، وجدوا أن فئتهم أكثر عدداً وأعظم قوة من الويلزيين، فقال واحد من الفرسان الانكليز لباتريك، الذي كان مقدمهم: «مولاي باتريك، إنك بارون عالي المقام لدى الملك، وأنت مقدمنا اللامع والمحامي عنا، انظر لقد قام الرب، إله الحشود، والمنتقم، بوضع أعداءنا بين أيدينا، لأننا أقوى وأكثر عدداً من الويلزيين، دعنا نهاجمهم وهم غارين، وأن نرسلهم أسرى إلى مولانا الملك، الذي إليه هذا النصر سوف يكون مقبولاً كثيراً، لكن إذا لم تستجب لطلبي، سوف أتهمك بأنك خائن للملك»، وعندما سمع الانكليز بهذه الخطة المقترحة، ولاسيما رجال الحدود، الذين نسميهم رجال التخوم، انقضوا فجأة على

الويلزيين، وهكذا قتلوا بشكل خياني كثيرين منهم، ولكن بعد وقت قصير وقع ثقل المعركة على رجال التخوم هؤلاء أنفسهم، وسقط عدد كبير من هؤلاء الخونة قتلى بدورهم، وكان بينهم البارون باتريك المتقدم الذكر، أما الجبان الذي اقترح اقتراف هذه العملية الخيانية، فقد نجا خلسة من ميدان المعركة عندما كان الآخرون يقاتلون بحدة.

وكان قائد الويلزيين في هذا الصراع الدموي، داود، الأصغر بين ثلاثة إخوة، كانوا أبناء للويلين الكبير، الذي كان قد حاز على كثير من الانتصارات التي تستحق الذكر بشكل خاص، وقد قيل عنه الكثير من قبل في هذا الكتاب في الأماكن المناسبة، وكان هناك ابن آخر من أبناء للويلين، وكان اسمه أيضاً للويلين حاضراً في هذه المعركة، وتصرف بنفسه بشجاعة كبيرة ضد الانكليز، محتذياً حذو والده في كل سبيل، ومبرهناً عن نفسه أنه لم يكن ابناً متدنياً، وكان الابن الآخر، وهو الأكبر بين الثلاثة، محفوظاً في سجن مشدد عليه.

## تكريس غودفري رئيساً لأساقفة يورك

وعند اقتراب حلول عيد الميلاد، جرى تكريس المعلم غودفري المتقدم ذكره في روما رئيساً لأساقفة يورك، حيث تبين إلى كل من البابا ولجميع الذين فحصوه أنه مناسب وشخص موافق لذلك المنصب، وبعدما أنهى بشكل موائم الأمور المتعلقة بكنيسته، عاد في الوقت المناسب ليتولى ادارتها وتسييرها.

## رغبة رئيس أساقفة كانتربري في أداء بعض القداسات في كنيسة القديس ألبان

وكانت كنيسة لنكولن شاغرة في هذه الآونة، ولذلك أرسل رئيس أساقفة كانتربري رسالة إلى رئيس رهبان كنيسة القديس ألبان، اقترح فيها القدوم إلى هناك، وتقديم بعض القداسات (إذا كان ذلك موافقاً

عليه من قبل رئيس الرهبان) في الكنيسة الديرية هناك، ولدى وصول هذا الخبر، بات رئيس الرهبان مذعوراً، خشية أن يجري تجريد هذه الكنيسة من امتيازاتها بأية طريقة من الطرق، وبعد القيام بالمشاورات، قرر معارضة رغبته، وبناء عليه جرى اخبار رئيس الأساقفة جواباً، أنه لن يستقبل للقيام بهذا بأي شكل من الأشكال، لأنه من الواضح أن دير كنيسة القديس ألبان كان منذ القديم معفياً، الأمر الذي ينبغي أن لايكون سراً بالنسبة له، ولأنه كان في ذلك الوقت مستحوذاً على ادارة كنيسة لنكولن، التي كانت شاغرة، كان من المعروف بشكل جيد أنها مستثناة كلياً وخارج امتياز كنيسة القديس ألبان، ولدى سماع رئيس الأساقفة بهذا تخلى بهدوء، لأنه وجد أن متابعة العمل في هذه القضية سوف يكون بلافائدة، ولذلك تولى اعطاء قداسات في دنستيبل Dunstable, وقد طلب على كل حال بأن يستقبل ضيفاً في كنيسة القديس ألبان من باب الكرم، وبناء عليه، جرى استقباله أثناء الذهاب وأثناء الاياب، بلطف واحترام، وتم تزويده بوفرة من الطعام عندما كان هناك، وبذلك كان راضياً تماماً، وتقدم بالشكر إليهم، وبارك في الوقت نفسه كل من المضيفين والضيافة، وترك كنيستهم مع جميع ممتلكاتها دونما ازعاج، ودونما أذى.

## *انتخاب بندكت أوف غريفسند أسقفاً للنكولن*

في يوم الاثنين التالي قبل عيد القديس ميكائيل، جرى انتخاب المعلم بندكت أوف غريفسند Gravesend, عميد كنيسة لنكولن أسقفاً لكنيسة لنكولن، وذلك بموافقة جميع الفرقاء، لأنه بدا لهم شخصاً جديراً بالثناء، وواحداً يبدو أنه لن يكون مهملاً لمصالح أي واحد يكون تحت سلطته.

## تكريس كنيسة سالسبري

في اليوم التالي لعيد القديس ميكائيل، جرى تكريس كنيسة سالسبري Salisbury من قبل بونيفيس، رئيس أساقفة كانتربري، وكان ذلك بحضور الملك وكتلة عديدة من الأساقفة، وقام الأسقف بتأمين الضيافة لجميع الذين احتشدوا هناك أثناء القداس.

## خلع فيليب لوفل من منصبه ومعه بعض الآخرين

في حوالي أيام عيد القديس لوقا الانجيلي في هذا العام، جرى طرد فيليب لوفل، خازن الملك من منصبه، بموجب قرار قضائي صدر عن البارونات، وبالنسبة للمنصب المتقدم الذكر تم تعيين جون دي كراشال Crachal, الذي كان رئيس شمامسة بدفورد Bedford, مكانه، ولم يحزن فيليب كثيراً لعزله شخصياً، وذلك بقدر ماحزن لسبب ذلك، ولسقوطه من منصبه العالي، فعرض على الملك مبلغاً كبيراً من المال في سبيل إعادة تأسيس اسمه الجيد، ولكي يكون صديقاً للملك، ولو من حيث المظهر على الأقل، ووفق الطريقة نفسها، وبموجب نصيحة من البارونات، وبشكل خاص من المسؤول الرئيسي عن العدالة، جرى صرف عدة آخرين من مناصبهم في بيت المال (الخزانة)، وتم تعيين آخرين محلهم، وجرى تعيين توماس وايموندهام Wy-mondham قائد جوقة المرتلين في كنيسة لشفيلد Lichfild خازناً لبيت المال، حيث يجري ختم المذكرات بالختم الأخضر.

## كيف توبعت المراقبة والضبط لنهم العمد

وجرى ضبط نهم العمد بحكمة ولأسباب صالحة، لأن المرتزقة، قاموا متجاوزين كل الحدود، فمارسوا حتى الآن استخراج الهدايا من السكان، بأية وسيلة من الوسائل، سواء أكانت صحيحة أم خاطئة، وزودوا بعضهم بعضاً بزيادة مزارعهم، وركبوا وتجولوا مع حواشي

كبيرة، وظلموا سكان الأرياف باستخراجاتهم، وبحجج تافهة ومن دون أسس صحيحة، وبناء عليه تقرر أنه إذا ماأقدم أي واحد من ذلك الحين فصاعداً، على تقديم هدية إليهم بشكل سري أو علني، أي إلى العمد، أو إلى أي واحد منهم، من أجل الحصول على العدالة، أو من أجل تعطيل مسيرة العدالة الحقة —مالم تكن مثل هذه الهدايا مكونة من كمية لطيفة من الطعام والشراب— فإن كلاً من الراشي والمرتشي ينبغي عقوبته بقسوة.

## *المندوبون الذين أرسلوا من إنكلترا إلى البارلمان الذي عقد في كامبري*

في حوالي عيد القديس ليونارد، توصلت جماعة الفرسان التي كانت مجتمعة في لندن، إلى قرار قضى بإرسال مبعوثين خاصين إلى البارلمان السري الكبير، الذي تقرر عقده في كامبري Cambray بين ممالك: فرنسا، وانكلترا، وألمانيا، وبقي الملك، بناء على نصيحة البارونات، في انكلترا، في حين وقع الاختيار على من سوف يتابع الإجراءات هناك ممثلاً لملك انكلترا وللمملكة فكانوا: أسقفي ووركستر ولنكولن، وروجر بيغود— الايرل مارشال، وايرل ليستر، وقد عبر هؤلاء القنال من أجل هذه الغاية، لكنهم لم يستطيعوا إيصال الأمور إلى أية نتيجة، لأن الملك الفرنسي تغيب شخصياً عن عمد، بسبب غياب الملك الآخر.

## *تكريس بندكت أوف غريفسند أسقفاً على لنكولن*

في يوم الأحد الذي جاء بعد عيد جميع القديسين، جرى تكريس أسقف لنكولن في كمبردج، وقام بعد ذلك مباشرة بعبور القنال، حسبما ذكرنا أعلاه، وذلك لصالح الملك، وبذلك غادر كنيسة لنكولن وتخلى عنها، مع أنه عمل أسقفاً لها، ولم يزرها لوقت طويل من الزمن بعد ذلك.

## كيف طالبت جوانا زوجة وليم دي بلنسية ببائنتها

في حوالي الوقت نفسه، عندما كان الملك مايزال في لندن، قدمت إليه جوانا زوجة وليم دي بلنسية، وطالبت بإلحاح وسرعة، بحضور هوغ بيغود، المسؤول الأعلى عن العدالة، والبارونات، بمنحها العدالة، وأنه ينبغي أن يسمح لها ببائنتها العائدة إليها، وبعد مداولات وافية حول القضية، جرى منحها جزء من الأراضي التي كانت عائدة إليها قبل زواجها من وليم المتقدم ذكره، أي أن ماجرى منحه لها كان يساوي بالقيمة خمسمائة مارك، وكان ذلك جزء من ميراثها، مع أن الأراضي التي تقدم ذكرها قدرت قيمتها بمبلغ يزيد على ألف مارك، وذلك أنهم خافوا من أنهم لو سمحوا بأكثر من ذلك، سوف ترسل الشطر الأكبر منه إلى زوجها، الذي كان عدواً معلناً للمملكة، ولم يرغبوا بأخذ كل شيء منها، خشية أن تتعرض امرأة بريئة للعقوبة بسبب ذنب إنسان آخر.

## كيف جرى تتويج مانفرد ملكاً على أبوليا

وفي هذا الوقت نفسه أيضاً، بدأ البلاط الروماني يعاني من سوء السمعة، ووضح هذا في اقدام أساقفة أبوليا ونبلاؤها، على انتخاب مانفرد ابن الامبراطور فردريك، وتتويجه ملكاً عليهم، على الرغم من عدم موافقة البابا، وكان مانفرد مثله مثل أسرته كلها، نظر إليه نظرة تحدي من قبل البابا والبلاط الروماني كله، وفضلاً عن هذا تولى ملك أبوليا تعيين أساقفة ورؤساء أساقفة من دون أن يطلب موافقة البابا، وأحياناً جاء التعيين حتى ضد رغبته، وأظهر هؤلاء جميعاً بالاجماع، وعلى الرغم من تحريم البابا طاعة كبيرة للملك المذكور، وقدموا المزيد من التشريف والاحترام أكثر مما قدموه إلى البابا، ولم يقم النبلاء أيضاً بأي ذكر لادموند، ابن ملك انكلترا (الذي إليه أعطى البابا مملكة أبوليا وعينه عليها بوساطة خاتم سلمه إياه أسقف بولون) بل قدموا الولاء،

وأقسموا على الاخلاص لمانفرد هذا نفسه، وأعطوه تملكاً كاملاً واستحواذاً لمدنهم ولقلاعهم، ونتيجة لهذا اشتكى ملك انكلترا —وهو يمتلك سبباً منطقياً— إلى البابا، بأنه قام بالتعاون مع الكرادلة، بشكل غير صحيح، وبحجج كلها دهاء ومكر، فسحبوا كثيراً من المال من مملكته، في سبيل الحصول على مملكة أبوليا، لكن ذلك كله جاء بلامحصلة وذهب من دون فائدة، ومع هذا استقبل هو —أي ملك انكلترا— بكل تشريف رسل البابا، الذين أرسلوا إلى انكلترا، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الراهب جون ديفا، والمعلم برنارد أوف سيينا، وأسقف بولون، ورئيس أساقفة ميسينا، وعدد كبير آخر، الذين قدموا نواباً من أجل تسهيل أعمال ابنه ادموند في قضية مملكة أبوليا، وهو الذي سمح لهم باستخراج مبالغ كبيرة من الطوائف الرهبانية، وعلاوة على ذلك، قام في الوقت نفسه مواطنو فلورنسا فدمروا حتى الأرض إحدى القلاع التي كان الكاردينال أوكتافيان قد بناها، والتي كانت هدفاً للريبة من قبلهم.

## *كيف جرى تعيين عم (خال) برانكليون شيخاً لروما*

في يوم عيد القديسة سيشيليا Cecilia العذراء، الذي وقع يوم الجمعة، ذهب الملك إلى كنيسة القديس ألبان، وبقي هناك الأيام الثلاثة المتوالية، وفي يوم عيد القديسة كاترين، أمر بحمل تمثال الشهيدة في مسيرة مهيبة حول الدير، حيث كان رهبان الدير قد ارتدوا أفخر الملابس، وسار هو ومعه حاشيته خلف المسيرة، بتقوى واحترام بتقديم هبات.

وعندما كان مقيماً هناك، وصل إليه رسل أعلنوا له بأن وولتر كومين Comyn, الذي كان أقوى ايرل في سكوتلندا قد أذعن للمنية، فقد مات نتيجة السقوط من على فرسه، الذي كبا به فوق بعض العوائق على الطريق، وألقى به، وكسر رجليه، وجلبت إليه رسالة أخرى أيضاً،

تعلن بأن جون فتز— غيوفري قد غادر طريق الجسد قرب غيلدفورد Guildford, وقبل أن يغادر الملك أمر بعمل قداس مهيب.

ووصلت إلى الملك أيضاً المزيد من المعلومات، أفادت بأن برانكليون المتقدم ذكره، الذي كان شيخ الرومان، قد أخذ من بيننا حسبما ذكرنا أعلاه، مما ألحق ضرراً كبيراً بمدينة روما، وأن عمه [خاله] جرى تعيينه عوضاً عنه.

## *عودة رئيس أساقفة يورك بعدما جرى تكريسه من قبل البابا*

عندما غادر الملك كنيسة القديس ألبان، ذهب نحو إيلاي والقديس ادموند، وفي ذلك الوقت بالذات، وصل أيضاً رئيس أساقفة يورك إلى انكلترا من بلاد ماوراء الألب، وعند وصوله إلى لندن، أمر بحمل صليبه بشكل معلن أمامه خلال وسط المدينة، ثم إنه ذهب إلى الملك، حيث استقبل بالتشريف المناسب من قبله، وبعد ذلك انطلق نحو الشمال من انكلترا، وقد استقبل في رئاسة أسقفيته، بمثابة أب وراع للناس بفرح عظيم، وبعد ذلك بوقت قصير عيّن عميداً ليورك المعلم روجر أوف هولدرنس Holderness, الذي كان كاهناً في كنيسة القديس ألبان، وجاء ذلك بمثابة مكافأة على فضائله، ولأنه هو نفسه كان من أهالي منطقة القديس ألبان، وبمنحه لمنافعه درس بأن تكون المنح وفقاً للاستحقاق.

## *حرمان وإبعاد غي دي روشفورت*

وفي هذه الآونة نفسها نال غي دي روشفورت Rochfort, الذي كان بواتياً من حيث الأصل، والذي كان الملك قد منحه منذ عامين مضيا قلعة كولشيستر Colchester بموجب صك مع المراتب الشرفية العائدة لها، نال غضب الملك والبارونات، وقد حكم عليه بالنفي مع المعاناة من مصادرة جميع ممتلكاته، وسبب ذلك هو أن

كثيراً من الشكاوي المكررة قد عملت ضده، وأنه قد ظلم كثيراً وآذى سكان المنطقة، خاصة الذين كانوا خاضعين له، ولكن حقيقة كونه بواتياً قد زادت من آثامه أكثر من أي من آثامه الأخرى.

## الاتهام الذي عمل ضد وولتر أوف سكوتني الذي اختفى سراً

انسحب وولتر أوف سكوتني Scotenny, قهرمان ايرل غلوستر، وتغيب عن الايرل المذكور، وأخفى نفسه مع بعض أصدقائه في بعض المناطق البعيدة عن الأنظار، لأنه اتهم أنه قام بدناءة وبشكل خياني فدس السم إلى مولاه الايرل، وإلى أخيه وليم، ومن تأثير هذا السم مات وليم المذكور، وتعرضت حياة الايرل للخطر، وكسب الاتهام الذي أعلن ضده المزيد من الوزن من حقيقة أن وليم المتقدم ذكره، عندما كان على وشك الموت، أعلن بأن وولتر سكوتني المذكور كان مجرماً مداناً بذلك العمل الخياني، وكان هناك شيئاً واحداً مؤكداً، هو أنه ما أن عمل تلك الافادة حتى مات فجأة، وحدث على كل حال بعد مضي بعض الوقت أن عرض وولتر المذكور القيام بتبرئة نفسه من الجريمة التي عزيت إليه، علنياً وبشكل صحيح.

## سجن وليم دي بوسي

وتمّ في هذا الوقت نفسه اعتقال وليم دي بوسي، قهرمان وليم دي بلنسية، وأكثر الناس شروراً، وألقى به في سجن مضيق عليه في قلعة لندن، بسبب دناءته وجرائمه الظالمة وآثامه.

## سفر جوانا زوجة وليم دي بلنسية

في أيام عيد ميلاد مولانا، عبرت زوجة وليم دي بلنسية القنال، لتشارك زوجها في منفاه، وقد حرضت على التصرف هكذا، إما لحبها له، ورغبة في أن تكون برفقته، أو غضباً منها لتوزيع أراضيها، حيث بدا

أنها تحولت إلى الفقر مع أنها تسلمت أربعمائة مارك(★).

## الخلاف بين الباحثين في اكسفورد

وتفجر في هذه الآونة أيضاً خلاف جاد بين الباحثين في اكسفورد، الذين كانوا من مختلف البلدان، فقد كان بينهم أناس من سكوتلندا، ومن ويلز، وكذلك من جنوب انكلترا ومن شمالها، ووصل الخلاف إلى درجة (كان فيها مرعباً وحزيناً) أنهم عرضوا فيها أعلاماً متعادية، وقاتلت الفئات المختلفة بعضها بعضاً، وقتل أحدهم الآخر وجرحه بطرق متنوعة.

## كيف رغب الويلزيون في إقامة سلام مع الملك

وفي العام نفسه أيضاً، لم يتقيد الويلزيون بانتصاراتهم المتوالية على خصومهم، وشرعوا بشكل حكيم يقدرون مستقبل الأحداث في عقولهم، وقاموا بالتشاور فيما بينهم وقالوا: «نحن نعلم بأن مملكة انكلترا في حالة اضطراب كبيرة، ولكن عندما يتأسس السلام، وهو عمل يحاول نبلاء البلاد تحقيقه، نحن لن نستطيع مقاومتهم، عندما ينقضون علينا وهم متحدين، ودعونا نقدر، فوق كل شيء، أن أخا للويلين، الابن الأكبر لمولانا غريفين، الذي مات في السجن في لندن، هو الآن موجود في السجن، وأنه إذا ماأطلق سراحه، سوف يثار للقيام بالانتقام، ولسوف يميل أخويه الآخرين: داود، وايدريك Edric نحو الشيء نفسه، ولسوف ننقسم، ونتعرض للدمار، وفي تلك الحالة اليائسة، إنه إذا ما هاجمنا الانكليز، سوف يطلبون من أيدينا حساباً عن دماء إخوانهم، ولسوف يقتلعوننا من على وجه الأرض، ولسوف يسحقوننا من دون عودة، مثل قطعة من الفخار»، وعلى هذا قاموا

---

(★) ذكر قبل قليل أن المبلغ كان خمسمائة.

بموافقة عامة فعرضوا على الملك أربعة آلاف مارك، وثلاثمائة إلى ادوارد، ومائتين إلى الملكة، على شرط أن يتم العفو عن جميع أسباب الخلاف، وأعمال العدوان، والصراع، من على الجانبين بصورة كاملة، وأنه ينبغي أن يسمح لهم بالتمتع بسلامهم المعتاد، وهدوئهم، وحريتهم، ولدى سماع الملك بهذه المقترحات اعتمد على النصائح الشريرة، فرد غاضباً حيث قال: «ماالذي يعنيه هذا إن رجلاً صالحاً واحداً هو أكثر قيمة من المبالغ التي عرضوها من أجل السلام المطلوب»، وهكذا بقي الطلب الذي عمله الويلزيون من أجل السلام من دون جواب، وقاموا هم —على كل حال— بالانتظار بهدوء وسلام، وهم يعلنون دوماً أنهم، حسبما كانت عادتهم دوماً —سوف يدافعون عن أنفسهم، وسوف يقاومون هجمات أعدائهم، ويدعمون قضيتهم، كرجال، إلى أقصى ماامتلكوه من قدرة.

## عرض عام للأحداث خلال العام كلّه

كان هذا العام، خلاله كّله، لايشبه جميع الأعوام الماضية، فقد جلب المرض والموت، وعواصف ثقيلة من الريح والمطر، ومع أن لطف المناخ في الصيف وعد بموسم وافر من القمح، مع اعطاء وفرة بالفواكه، مع ذلك إن استمرار سقوط الأمطار الغزيرة أتلف القمح، والفواكه، وجميع الأنواع الاضافية، وفي بعض أجزاء انكلترا، حدث أنه مع قدوم عيد ميلاد ربنا، وحسبما ذكرنا أعلاه، أن الاهراءات بقيت فارغة، والقمح كان جاهزاً للحصاد، لكنه قد أتلف كلياً، وصحيح أن الحبوب المزروعة نمت وكسبت طولاً، فإن السنابل والسوق قد اهترأت مع بعضها، ولذلك مات الناس من الحاجة إلى القمح، وبناء عليه ماتت القطعان بسبب الحاجة إلى الأعلاف، ومع أن انكلترا كانت قد نزفت وصارت فارغة من المال بسبب حجج متنوعة، أجبر الناس بسبب ضغط الجوع على دفع ستة عشر شلناً، ثمناً لمكيال القمح، والقمح مايزال غضاً ونامياً

لم ينضج، ونتيجة لهذا تلاشى الفقير وهلك من الجوع، ومات، وابتعد الناس الذين كانوا يموتون وتخفوا في مناطق مختلفة، ليتخلوا عن آخر أنفاسهم التعيسة، ومن هؤلاء كانت هناك أعداداً كبيرة جداً، إلى حد أن الذين كانوا يحفرون القبور قد صرعهم الانهاك، وكانوا يلقون بعدة جثث في قبر واحد، أما بالنسبة للناس من الطبقة الوسطى، فإنهم عندما شاهدوا أنه لم يعد لديهم أطعمة، باعوا مواشيهم، وأنقصوا تعداد العاملين لديهم، وتركوا أراضيهم من دون زراعة، حيث أن جميع الآمال بالنهوض من هذه الهاوية، وهي الآمال التي كانت بالعادة تواسيهم، قد خمدت وزالت تماماً، ولولا أن القمح جلب من القارة، لهلكت انكلترا، من دن شك، بذاتها.

## رؤيا إحدى النساء المقدسات

ظهرت في هذه الآونة رؤيا واضحة تماماً ومرعبة إلى ناسكة مقدسة في دير القديس ألبان، وقد تبرهنت هذه الرؤيا، حسبما تحدث رئيس شمامسة المكان، وذكر حقيقة، أن هذه لم تكن مناماً، بل نوعاً من أنواع الهواتف، و تهديداً مخيفاً من السماء، فقد رأت الناسكة المذكورة، رجلاً متقدماً بالسن، ومحترماً بمظهره، حيث أعطته لحيته مظهراً صارماً، وكان واقفاً في قاعته، حيث بدا وهو ينسحب من ذلك المكان مغضباً، ليصعد إلى برج،ومن هناك التفت فألقى نظرة صارمة نحو البلدة، وأخذ يزمجر بصوت مهدد قائلاً: «الويل، الويل، للسكان فوق الأرض»، وقد ردد ذلك عدة مرات ثم عدة مرات.

## كيف رغب رتشارد ملك ألمانيا بزيارة إنكلترا

عام ألف ومائتين وتسعة وخمسين لتجسيد الرب، وهو العام الثاني والأربعين من حكم الملك هنري الثالث ، وكان الملك المذكور في لندن أيام عيد الميلاد، حيث كان النبلاء مشغولين بالتداول بعمق، حول

كيف، وهم ملتزمين بقرارهم السليم، يمكنهم التعامل مع الرغبة التي عبر عنها رتشارد ملك ألمانيا، الذي تشوق بشدة —حسبما أخبروا— للقدوم إلى انكلترا، ليزور أقربائه وأصدقائه وبلاد موطنه، وليتفقد ممتلكاته، لأنهم ارتابوا بأنه بقدومه سوف ينفس عن غضبه، وعن سخطه على البارونات، وسوف يتهمهم بأنهم الآن ينكلون بأخيه الملك هنري، ويظهرون كراهيتهم له، مثلما فعلوا من قبل إلى أبيه الملك جون، وكما فعلوا مؤخراً بالحكم الذي أصدروه على إخوته لأمه بالنفي، وكأنهم كانوا مجرمين قد اقترفوا أعظم الجرائم، في حين أنهم كانوا في الوقت نفسه أبرياء، وعلاوة على ذلك خافوا بأنه سوف يعمل من إخوته هؤلاء أنفسهم أعداء عامين للمملكة، وهو إما سوف يعيدهم معه خلسة، أو أنه سوف يتدبر في مستقبل الأيام قيام مصالحة، وسوف يحرضهم بصورة خيانية على العودة إلى انكلترا، حتى يدوسون عليها تحت أقدامهم، مما سيؤدي إلى دمار أعظم للسكان، وسوف يسبب نشوء غلطة جديدة أسوأ من الغلطة الأولى، ومثل هذا خافوا من أنه سوف يعيق قراراتهم السليمة ويقف ضدها، وهي القرارات التي استهدفت إحداث ترتيبات جديدة لشؤون المملكة، وأنه بعدما يعيقهم في خططهم، سوف يعيد تأسيس النظام القديم للأشياء، وسوف ينفيهم، أي البارونات واحداً بعد الآخر، وسيقوم أخيراً بتجريدهم من ممتلكاتهم.

## *كيف تمت إدانة اليهود بالخيانة وكيف نجوا من العقاب بالتعميد*

ومع اقتراب الوقت من عيد ميلاد ربنا بالجسد، تمت إعادة ولادة واحد من مخلوقاته بالروح، فقد قام الياس اليهودي اللندي، الذي كان لقبه الأسقف، وقد كان خائفاً من أنه في خطر الادانة لاقترافه بعض الجرائم، قام بالفرار إلى جرن المعمودية من أجل السلامة والحفظ، وهكذا جرى تطهيره بوساطة الإجراءات الصحيحة للتعميد، وكان

ذلك بصحبة اثنين آخرين، وبذلك تم انتزاعه من بين صفوف الشيطان، وحفظ من العقوبة المستحقة لاقترافه من قبل جريمة دنيئة جداً، لأن تقريراً قد أفاد بأن ذلك السم السائل، الذي جلب الخطر والموت لكثير من نبلاء انكلترا، قد عمل في بيته، وقيل بأنه قام عن طواعية فسمح بالتنفيذ والممارسة، لكنه كان في ذلك الوقت شيطاناً، وهو الآن قد تبدل إلى مسيحي، وقد تغيرت أعماله وفقاً لأحواله.

## *كيف جرى بدهاء إرسال مبلغ كبير من المال إلى الخارج من خلال مكر زوجة وليم دي بلنسية*

وانتشرت الآن أيضاً شائعة في جميع أرجاء المملكة، بأن إخوة الملك، الذين ساءت سمعتهم، كما ذكرنا من قبل، تمكنوا في سبيل إلحاق خسارة كبيرة وضرراً عظيماً بالمملكة، من نيل ثروة عظيمة بوساطة مبلغ كبير من المال، وجاء ذلك بفضل براعة امرأة، وربما بوساطة تعليمات مكتوبة من البواتيين إلى جوانا زوجة وليم دي بلنسية، التي غادرت انكلترا مع مبلغ كبير من المال، وقد حرضها على ذلك حبها لزوجها ورغبتها باللحاق به، ووفقاً لما جاء بالتقرير، قامت جوانا المتقدمة الذكر، ببراعة نسائية فاشترت كمية كبيرة من الصوف، أمرت بوضعها بشكل أمين ومحكم في أكياس، وخبأت وقتها بين الصوف مبلغاً كبيراً من المال، ثم إنها وضعت الأكياس داخل بعض العربات المتينة، وكأن الذي فيها صوف خالص فقط، وأرسلت بهم إلى بواتو في أول فرصة مناسبة، وبناء عليه، إنه مع أن الكثيرين قد ذكروا من قبل أن الأموال العائدة إلى وليم المتقدم ذكره، قد تمت مصادرتها في كل مكان كانت مودعة به ومخزونة، لقد تبين من هذا الإجراء أنه لايمكن الوثوق بمثل هذه التقارير، ولاالاعتماد على مصداقيتها.

## وفاة فيليب لوفل

أثناء القيام باحتفالات عيد الميلاد، ومن أجل أن لاتعبر مباهج هذا العالم غير ممزوجة بالموت، مات فيليب لوفل الذي كان المستشار الخاص بالملك، وخازنه قبل ذلك، وحدثت وفاته في يوم عيد القديس توماس في كنيسة هامستيبل Hamestable, وكان سبب موته الأسى، كما ذكرنا من قبل، ومرارة الروح، لأنه لم يتمكن من المصالحة شخصياً مع الملك، الذي كان قد خدمه من قبل، فقد طلب الملك منه مبلغاً كبيراً جداً من المال، من أجل الجرائم التي اقترفت من قبله، وفقاً لتقرير رجال غاباته، وعندما أخبر بوفاة فيليب، أمر بمصادرة جميع الممتلكات والمقتنيات العائدة له، وذلك حتى تمّ ارضاء طلباته.

## زواج فيليب ابن الملك الفرنسي

وفي حوالي الوقت نفسه، من العام التالي، تزوج فيليب ابن الملك الفرنسي، من ابنة ملك أراغون.

## تطويب رتشارد أسقف شيكستر

وفي هذه الآونة، على الفور مع بداية العام المقبل، أدخل البابا أوربان اسم رتشارد، أسقف أوف شيكستر، في قائمة أسماء القديسين.

## انتخاب هنري أوف وينغهام أسقفاً لوينكستر

وفي الوقت نفسه أيضاً، وجد رهبان وينكستر، أن الملك لن يقبل أي واحد انتخبوه أسقفاً، مالم يكن صديقاً خاصاً به، خاصة بعد طرد أخيه ايثليمار، ولذلك انتخبوا هنري أوف وينغهام Wengham, مستشار الملك، ليكون أسقفهم وراعياً لنفوسهم، وقام هو على كل حال، بالنظر إلى انتخابه على أنه مسألة غير مؤكدة، ومن الممكن أن تثير مشكلة الشرعية، ولذلك لم يوافق على الانتخاب له شخصياً، ومع أنه كان

لايشك بالحصول على حظوة الملك، فقد أعلن أنه غير كفء لشغل مثل هذا المنصب الرفيع، ولأن يتحمل المسؤولية عن النفوس، يضاف إلى هذا أنه لم يكن متميزاً بشكل صحيح في دراسة اللاهوت، وفي الكتابات اللاهوتية الأخرى، وبعد لأي أعطى نوعاً من الموافقة، وقد قبل عن طواعية من قبل الملك، ولكن وفقاً للشرط التالي، وهو أنه إذا ما تمكن إيثليبار —أخو الملك— الذي كان الأسقف المنتخب من قبل، تمكن من الحصول على نعمة التكريس من البابا، له حق الأسبقية قبل جميع الآخرين بأن يجري تنصيبه في كنيسة وينكستر المذكورة، وأن لايجري تعيين هنري المذكور مكانه، فقد استبقى الملك لأخيه حق الاحتفاظ بالمنصب.

## *كيف جرى إرسال مندوبين للقاء رتشارد ملك ألمانيا*

بعدما عقد البارونات مؤتمراً عاماً، فيه جرت مناقشات كثيرة تعلقت بقدوم رتشارد ملك ألمانيا إلى انكلترا، لذلك أرسلوا مندوبين خاصين لاستقباله، وتشكل هذا الوفد من: أسقف ووركستر، ورئيس رهبان دير القديس ادموند، وبطرس أوف سافوي، وجون مانسيل، وكانوا كافين بأنفسهم لمعالجة قضية زيارته المفاجئة وغير المتوقعة لانكلترا، وكذلك ماتعلق باقتراح طول الإقامة هناك، وأمام تساؤل كثيرين، كان الايرل سيمون مايزال مقيماً في القارة، ولذلك كان اجتماع البارونات غير مكتمل إلى حد كبير، وكانوا يخافون من بعض المؤامرات الخفية، وكان بين الأشياء الأخرى التي خافوا منها، هي أن الملك وإن تظاهر بنظرة هادئة مع رباطة جأش، سوف يتعاطف مع إخوته المنفيين، وسوف يتشكى إلى أخيه المتقدم ذكره، ملك ألمانيا، بأن الانكليز بعدما لاحقوا والده الملك جون حتى الموت بكراهيتهم القاتلة، إنهم الآن بالطريقة نفسها يطاردون أبناءه وأحفاده، كأن مشاعر الغضب والكراهية قد انتقلت إليهم بالوراثة، والأذى الذي اقترف بحق ملك انكلترا، ينبغي رفضه بالدرجة نفسها من

قبل ملك ألمانيا، ولذلك اقترح نبلاء انكلترا، أن يطلبوا من ملك ألمانيا أداء يمين، قبل أن ينزل في انكلترا، بأنه سوف لن يلحق الأذى بمملكة انكلترا، بأي شكل من الأشكال، كما أنه لن يعيق الترتيب العام للأعمال، لكن ماهي الفائدة التي ستحصل من ذلك؟ لأنه ربما سيقول فيما بعد أنه أرغم على أداء اليمين ضد إرادته، غير أنه لم يكن معروفاً بالنسبة إلى عامة الناس فيما إذا كان هذا سيعبر هكذا، فأنا لايمكنني أن أغامر في تأكيد هذه القضية في هذا الكتاب، ولقد أفيد بشكل عام بأنه قد أقسم، حسبما جرى الترتيب أعلاه، وأعطى رسالة معتمدة توافقت مع الذي طلب منه.

## *كيف انطلق الملك وسافر لاستقبال أخيه رتشارد*

وبادر الملك في الوقت نفسه مسرعاً نحو شاطىء البحر، وكان بصحبته كتلة كبيرة جداً من النبلاء، الذين كانوا —من باب الحذر والاحتياط— مسلحين بشكل جيد، ويمتطون الخيول، لأنه أفيد بأن رتشارد المذكور قد اقترح وعزم على جلب واحد أو أكثر من إخوته معه، وهم الذين طردوهم بموافقة عامة، وأن هدفه من وراء ذلك إلغاء القرار حول تلك القضية، وذلك حتى يتمكن من إعادتهم إلى أوضاعهم الماضية، الأمر الذي سوف يتحمله البارونات بكراهية، وأمر الملك بأن يعلن في لندن بوساطة المنادي، بوجوب تنظيف المدينة من الوحل والقاذورات، ومن جميع الأخشاب المعيقة، ومن كل شيء يؤذي عيون المشاهدين له. فهذا ينبغي ازالته،وأن تزين المدينة بالأعلام المعلقة، وبالأقمشة المعلقة، وبجميع أنواع الزينة الجديدة ومظاهر الاحتفال.

## *جواب رتشارد ملك ألمانيا للمندوبين*
## *الذين قدموا من عند جماعة إنكلترا*

وعلى الرسل الخاصين، الذين أرسلوا هكذا من قبل جماعة انكلترا، قام ملك ألمانيا الذي كان ينتظر على الطرف الآخر من القنال، ويتولى

جمع جيش قوي وكبير العدد، بالرد بنظرة حادة، وبلهجة مهددة، مقسماً ببلعوم الرب: «إنني لن أؤدي اليمين الذي طلبتموه، ولن أثبت موعداً لإقامتي في انكلترا، بناء على طلبكم»، ثم إنه أضاف قائلاً: «لايوجد من يعادلني في انكلترا، لأنني ابن الملك الأخير، وأخاً للملك الحالي، وكذلك أنا ايرل كورنوول، ولذلك لو أن نبلاء انكلترا قد رغبوا في إصلاح أوضاع المملكة، كان المتوجب عليهم في المقام الأول أن يرسلوا خلفي، وأن لايقوموا بطيش ووقاحة بمحاولة معالجة هذه القضية الصعبة من دون حضوري وموافقتي»، وقد رغب واحد من المندوبين أن يقوم برد ما على هذا الكلام، لكنه منع من قبل رفاقه، وكان رده الذي نوى التفوه به كما يلي: «نحن غالباً ماتولينا تعيينك لأن تكون قائداً، في سبيل تحقيق إصلاح أحوال المملكة، ولكنك أثرت وحرضت بالشره، ولذلك سعيت دوماً للايقاع بنا بوساطة بدعك الماهرة، وكان ذلك يحدث في الوقت الذي كنا لانتوقع فيه أية إجراءات من هذا النوع، ولقد كنا نقوم بدراسة شاملة لتحسين أوضاع الملك وكذلك أحوال المملكة، ونتيجة لذلك تراجع الملك عن القرارات الصحيحة، وآذى كل واحد تمكن من إيذائه بعد ذلك».

ولتجنب إثارة أي خلاف من هذا التقريع، عاد المندوبون بأقصى سرعة تمكنوا منها، وهم راضين تماماً عن الأوضاع الحالية، لمشاعر ملك ألمانيا، لأن عدداً كبيراً من الناس، كانوا مجهزين بطرق متنوعة، كانوا بانتظاره، وعندما جرى الإعلان عن نتيجة المهمة إلى النبلاء الانكليز على هذا الجانب من القنال، أمروا بجمع السفن والغلايين من الموانىء الخمسة، وكذلك من الموانىء الأخرى، وأن يكونوا قد أخذوا الاحتياطات قبل قدومهم إلى الساحل، بتجهيز أنفسهم بالسلاح والعتاد، وبذلك باتوا مستعدين لمواجهة العدو، وكانوا يشعرون برغبةعارمة بمقاتلته، وقد تشجعوا أيضاً على القيام بهذا بحقيقة أنه

عندما جاء لويس ابن ملك فرنسا، قبل بعض الوقت الذي مضى، لغزو انكلترا، قام عـدد صغير من السفن التي كانت عائـدة إلى الانكليز، على عكس جميع التـوقعـات، بمهـاجمة وتدمير أسطول فـرنسي قـوي وكبير العـدد، كما أنهم جمعـوا جيشاً كبيراً من الخيـالة والرجـالة على السـاحل الانكليزي، من أجل أنـه إذا ما أحرز العـدو تقدمـاً في الصراع البحري (الذي حول نتيجتـه كانوا غير خائفين) يمكنهم أن يمنحـوهم استقبالاً جـريئاً وثابتـاً على حـد السيـف، عند السـاحل، ووصـل علم هذه الإجـراءات إلى رتشـارد، ملـك ألمانيـا، بـوسـاطة الجواسيس، ولذلك استجاب إلى نصيحـة الأصدقـاء العامين، فهـدأ مشاعـر غضبه، وأعلن بوسـاطة عمل مكتـوب مـوافقتـه على اعطاء اليمين الذي طلب منه إلى البارونات، وذلك استجابة لغيرتهم على مصالح المملكة وتقدمها.

## عودة رتشارد ملك ألمانيا إلى انكلترا

ثم أقلع رتشـارد ملك ألمانيا، وبرفقتـه ملكته، نحـو انكلترا، ونزل في دوفر، في يوم عيد القديس يوليان، ودخل إلى انكلترا مع حاشية صغيرة وخاصـة، مؤلفة من كـونتين ألمان، كان معهما ثلاثة فرسـان فقط، وكان مع الملك في ركابه ثمانية فرسان، وكـان مرافقاً لملكته وابنه ادموند، ومع أنهم نزلوا في دوفر، فإنه لم يسمح لهم بدخـول حصن دوفر، ومثل ذلك لم يسمح لملك انكلترا بدخـول الحصن، لأن نبلاء انكلترا كـانوا خائفين من السماح إلى أي واحد لم يـؤد اليمين، بالدخول إلى القلعة التـي كانت الحاجز الرئيسي لانكلترا، وذهب الملك على كل حال إلى استقباله، وقت رسوه، واستقبله بـأعظم سرور، ثم أنهما أقامـا وليمة مع رئيس أسـاقفة كانتربري، واحتفلا بلقائهما بسرور وفرح.

## كيف أقسم رتشارد ملك إنكلترا على مساعدة نبلاء إنكلترا

وفي اليـوم التـالي ذهب نبـلاء انكلترا إلى داخل بيت مقـر الهيئة

الكهنوتية في كانتربري، ورافقوا باحترام ملكي انكلترا وألمانيا، ثم أمروا بنص الانجيل فوضع على منبر هناك، ثم وقف رتشارد ايرل غلوستر في وسطهم، ونادى بصوت مرتفع، ولكن باحترام ايرل كورنوول بالقدوم إليه، ولم يخاطبه كملك لألمانيا، بل باسم «رتشارد ايرل كورنوول»، فقام تلبية منه، فاقترب منه باحترام، وتفوه بصوت مرتفع ومتميز بأداء القسم الذي فرض عليه، وهوالذي كان نصه كما يلي:

## قسم رتشارد ملك ألمانيا

«اسمعوا أنتم جميعاً، بأنني هنا أقسم على الانجيل المقدس، وبأنني أنا رتشارد، ايرل كورنوول سوف انضم إليكم باخلاص ويقظة في إصلاح مملكة انكلترا، التي اضطربت أمورها حتى الآن كثيراً جداً بالنصائح الشريرة، ولسوف أساعدكم بشكل فعال في طرد أعداء المملكة ومثيري الاضطراب فيها، وهذا اليمين سوف ألتزم به من دون احباط، وذلك تحت طائلة فقداني لجميع الأراضي التي أمتلكها في انكلترا»، وعند ذلك قال جميع الحضور: «في هذا كفاية، لقد ربط نفسه بمافيه الكفاية وبإخلاص معنا»، لكن ايرل غلوستر المتقدم ذكره، أجاب قائلاً: «لقد تأذينا مراراً في حالات مماثلة، ذلك أن الذي جرى مرة حرمانه كنسياً، يخاف دوماً من الماء الذي يغلي، أنا لست متأكداً بأي حال من الأحوال، سوى بأن الذي عملناه كان قليلاً، لكن لعل الرب القدير يمنع أن يكون الحال هكذا».

## كيف قام نبلاء ألمانيا بالمغادرة لدى وصول ملكهم إلى لندن

في يوم عيد طهارة القديسة مريم، وصل الملكان، والملكتان، وبصحبتهما عدد كبير جداً من نبلاء انكلترا إلى مدينة لندن، التي كانت تماشياً مع الأوامر التي تقدم ذكرها أعلاه قد جرى تنظيفها بشكل موائم من القاذورات، وتزينت بشكل ثري من أجل وصول مثل هذين

الأميرين العظيمين، ولقد استقبلا لدى وصولهما بعدد كبير من المواطنين، يهتفون بعبارات الترحيب، وكانت المدينة بالفعل مليئة بالناس إلى حد أن أرصفة الشوارع كانت مغطاة تماماً بالحشود التي تجمعت، وبما أن إخوة رتشارد لأمه لم يكونوا برفقته، حسبما كان متوقعاً ومهدداً (كانوا قد بقيوا في القارة) لقد عبروا عن سرورهم بحرارة أعظم، غير أنهم دهشوا كثيراً، وتساءلوا لماذا أعطاه الألمان مثل هذه الحرية العظيمة،وسمحوا له بالذهاب إلى انكلترا برفقة زوجته وابنه، مع أنهم كانوا أعزاء كثيراً عليهم، وكيف أنهم لم يحتفظوا حتى بواحد منهم على الأقل كنوع من أنواع الرهائن، وكيف أيضاً وهو أمير الألمان وسيدهم، قد ترك الشعب الألماني وراءه، ليأتي عن طواعيه، ليكون وسط الانكليز، ولكن خلال وقت قصير بدأت سمعته تتلاشى، والخشية من سلطته بين الانكليز، كانت موجودة قليلاً أو غير موجودة، ونتيجة لهذا فإن النبلاء الألمان، الذين بقيوا حتى الآن في خدمة ملكهم في انكلترا، قدروا أنه لم يحتل مكانة عالية في انكلترا، ولم يعامل بالاحترام المستحق للمرتبة الملكية، ولذلك غادروا وهم غاضبين، وبادروا مسرعين بالعودة إلى الوطن قائلين بأنفسهم: «إذا كان أبناء وطنه لايحترمونه، كيف يتوقع أنه يمكننا أن نعامله بتشريف؟ إن الذي قمنا بانتخابه هو بالحري المال، أكثر من الرجل الذي يعمل المال، فهو مال مجموع، وليس بالرجل الذي يجمع المال، إنما إنه إذا ماأعطانا جميع المال الذي تركه، فإننا لن نزعج أنفسنا أكثر بوجوده الشخصي»، فقد كان هدفهم، حسبما فعلوا إلى حد بعيد هو أن يسحبوا منه كل الذي بقي من ماله.

## *البارلمان الذي عقد في لندن*

في ثمانية عيد الطهارة، اجتمع نبلاء انكلترا في لندن، حسبما كانوا قد رتبوا من قبل، أما بالنسبة لايرل ليستر، الذي كان طول غيابه وامتداده مصدراً للأسف لجميع أفراد شعب انكلترا، الذين لم يعرفوا الذي حدث

له في القارة، فقد جاء إلى المؤتمر الحالي، وكان المستشار السري لملك فرنسا، عميد بورجي Bourges أيضاً حاضراً في البارلمان، وجرت في هذا البارلمان مناقشات كثيرة تعلقت بالقضايا الخلافية بين ملكي فرنسا وانكلترا، والجهود التي بذلت لتحسين القضية نفسها في القارة، وكانت نتيجة المناقشات، أنه خلال مدة قصيرة، يعني أن تقول في يوم عيد القديس فالنتاين أن سلاماً قد عقد وتثبت بينهما في لندن، على أساس الشروط التالية: وهي إن على كل فئة منهما، الالتزام من دون خلاف بجميع ماجرى ترتيبه من قبل وتقرر بين رسلهم الخاصين المهيبين، وذلك حسبما سنذكره فيما بعد بالتفصيل، في مكانه المناسب.

## *اعتقال وسجن وولتر سكوتني ووليم بوسي*

وفي بداية آذار من هذا العام جرى اعتقال وولتر سكوتني المستشار الرئيسي الخاص لايرل غلوستر وقهرمانه، وحدث اعتقاله في لندن، بتهمة دس السم للايرل المذكور، وإلى أخيه وليم، والذي من تأثيره نجا الايرل بصعوبة بحياته، في حين مات وليم من الشيء نفسه وقد وضع قيد الاعتقال لدى كفلاء، لكنه حمل الآن إلى برج لندن، ووضع في سجن مضيق عليه هناك، وجرى أيضاً اعتقال وليم بوسي Bussey قهرمان وليم دي بلنسية، أخو الملك لأمه، ومستشاره الخاص، ونحن نحتاج إلى تقديم رواية خاصة، وشرح كامل لجرائمه، وبعدما أبقي لبعض الوقت في سجن كفلائه، جلب الآن للمحاكمة ومثل أمام القضاة، وبما أنه لم يستطع أن يقدم بشكل مقنع أجوبة على التهم التي عملت ضده (لأنه كان متورطاً في كثير من الجرائم) أراد أن يفك أربطة قلنسوته الضيقة، ليظهر بشكل عام أنه كان يمتلك بقعة محلوقة من شعر رأسه تدلل على أنه كان رجل دين، فلم يسمح له بفعل ذلك، ولكن بأمر من القضاة حمل بوحشية وبعنف وأبعد ليوضع في أسوأ مكان من السجن، وكان الموظفون الذين تولوا ابعاده وأمسكوه ليس من قلنسوته

الضيقة المربوطة، بل من بلعومه، وعندما كانوا يجرونه إلى السجن قال ساخراً: «إذا أنا لم أقدم لكم العدل، فمن الذي يقدم لكم العدل»؟، وكانت هذه هي الكلمات التي اعتاد وليم المذكور على استخدامها وقولها إلى الفرقاء الذين غالباً ماظهروا أمامه، للتشكي من الأضرار التي عانوا منها، وطلبوا تقديم العدالة من قبله، وكان في كثير من المناسبات يقول أيضاً: «إن إرادة مولاي الملك هي متوافقة تماماً مع إرادة معلمي وليم دي بلنسية، وليست على عكسها»، وهكذا لم يتنازل بإبداء الاحترام للملك أو إلى أي واحد من النبلاء، كما لم يقدم العدل إلى أي واحد من الناس، مؤكداً أن معلمه قد حصل على امتياز من الملك، بعدم صدور أية مذكرة قضائية ضده، ولذلك هو غير مجبر على تقديم أية إجابة إلى أية فئة متأذية، مهما تكن الجريمة ومهما كان نوعها، باستثناء مايرغب بالإجابة عليه، وعندما كان وليم المذكور هذا، محمولاً إلى السجن، شتمه جميع الناس وأهانوه، لتجبره الذي لايحتمل، ولطغيانه الذي لم يعرف الهوادة، ولأعمال سلبه ونهبه وظلمه، ومع أن الذي اقترفه كان كثيراً جداً حتى نأتي على ذكره كله، أعتقد أنه من المفيد أن نذكر نموذجاً واحداً في هذا الكتاب، حتى يمكن تخيل الباقي.

## *الأفاعيل المقيتة لوليم بوسي*

كان في أحد الأيام شاباً يعبر الطريق في ترمبنغتون Trumpington, عندما أخذ كلب يعوي عليه، وعندما رغب في إيقاف هذا العواء، رمى الشاب من دون انتباه حجراً على الكلب، وانحرفت الحجر إلى إحدى الجهات، وقتلت دجاجة عائدة إلى إحدى النساء الفقيرات، التي صدف أن خرجت من بيتها فشاهدت الواقعة، فرفعت صوتها بالشكاية، فجمعت حولها عدداً من الجيران، وأعلن الشاب بتواضع، وأرفق إعلانه باليمين، بأن الواقعة كانت مجرد حادثة عرضية، وعرض أن يدفع ثمن الدجاجة، لابل ضعف الثمن كتعويض للذنب الذي وقع، لكن المرأة

الشريرة رفضت كل العروض، وأصرت على الحصول على انتقام أكثر ربحاً، وكان هناك خادم سليط من خدم وليم دي بلنسية، فتظاهربالشجاعة صدوراً عن علو رتبة معلمه، فاعتقل الشاب البريء، ووضعه في سجن مضيق عليه، فمات خلال عدة أيام من العذاب الذي لايحتمل، وجمع كاهن المنطقة الجيران مع بعضهم وأصبح متأكداً من براءة الشاب، فدفن جثته في المقبرة، وعمل له طقوس الدفن، بقدر ماتمكن من جودة، وذلك بعدما ألقيت الجثة لمدة يومين أو ثلاثة على كومة للقاذورات، فهناك كانت قد رميت، حتى أصبحت متفسخة، وبعد ثلاثة أيام صدف أن كان وليم بوسي عابراً، فسمع بالذي عمل، فأمر بالجثة التي كانت قد اهترأت خلال أربعة أيام، بأن تسحب من القبر، وأن تعلق على المشنقة، وجميع هذه الأعمال الوحشية، وأعمال أخرى مماثلة، اقترفت من دون أية محاكمة، لكن ليس من دون تسجيل الانتقام من الرب، وتقدمت زوجة الميت بشكوى حول هذا العمل الوحشي، وهي الآن تتابع شكواها، ويقوم الآن أعظم القضاة عدلاً بمجازاة هذا الأعظم ظلماً من أجل أعماله، بالحكم عليه بالبقاء أبدياً في جهنم.

## *عودة وليم هورتون الذي أرسل إلى سكوتلندا من قبل ملك انكلترا*

وفي حوالي الأول من آذار في هذا العام، عاد وليم هورتون Horton, الذي كان راهباً وحاجباً لكنيسة القديس ألبان، من الأجزاء النائية من سكوتلندا، حيث كان قد بقي مدة طويلة، أي منذ أيام عيد القديسة كاترين في هذا العام نفسه، فلقد قام برحلة متعبة بناء على أمر من الملك، وذلك صدوراً عن اقتراح لمستشاريه، وذلك بعد الحصول على اذن رئيس الرهبان، لأنه قد عهد إليه من قبل الملك، والملكة، ونبلاء انكلترا، ببعض القضايا الصعبة والمسائل الخاصة، التي أمر بالإعلان عنها إلى ملك، وملكة، ونبلاء سكوتلندا، ولدى وصوله إلى هناك وجد الملك والملكة مع

نبـلاء تلك البـلاد مجتمعين في بـارلمان، بناء على رغبتـه، وعند ذلك شرح سبب رحلته، وقـدم رسائل اعتماده، وبعد ذلك تقـدم بالتماس حار باسم الملك والملكة وبـارونات انكلترا، إلى ملك وملكة سكوتلنـدا للذهاب إلى انكلترا من دون تلكؤ، مـن أجل سماع ومناقشـــة بعض القضـــايـا التي تتطلب الاستماع إليهـــا بعناية، والتـــداول حـــولها بشكل سري، ومع أن المجتمعين قدمـوا كثيراً من الاعتراضات، وألقـوا بكثير من المعيقات على الطريق، وبعـــد كثير من المناقشـات، مـارس وليم الضغـط الملح لطلبـه، فأقنعهم بالموافقة على الذي طلبه ورغب به، ولذلك أعطوا وليم رسائلهم المعتمـدة والمختـومـة بختم الملك، وبأختـام جميع نبـلاء سكوتلندا، وقـد وجهوا هذه الرسـائل إلى الملك وإلى جماعة انكلترا كلهـا، وذكروا في هذه الرسائل بأنهم وافقوا عن طواعية بالعمل وفقاً لرغبتهم شرط أن يعطيهم ملك ونبـلاء انكلترا ضمانـة حـول المسألة المتعلقـة بالـوثيقـة، وأن تكون مكتـوبة باخـلاص حسبما كـانوا مـوعـودين من قبل، وعـلاوة على ذلك أرسلوا رسـائل إلى ملك وملكة ونبـلاء انكلترا، أثنوا فيهـا على اخـلاص وليم المذكور ونشاطه الذي لايعرف التعب في العمل في سبيل المهمة التي عهـدت إليه، وإثـر مغادرته على الفـور أرسلوا وفـداً مهيبـاً وخاصـاً إلى انكلترا، مؤلفـاً من ايرل بوخان Buchan, والمعلم وليم المستشار، ولورد آلان حـاجب القصر، للإعداد للمسألة المتقـدمة الذكـر بكمال أكبر مع ملك انكلترا ومجلسـه الاستشاري، ولدى وصول هـؤلاء الأشخاص، والاجتماع والتحـادث مع وليم المتقـدم ذكـره، الذي كـان قـد سبقهم إلى انكلترا، لكنهم عندما غـادروا عائدين إلى الوطن لم يتركـوا أية معلومات معلنة تتعلق بترتيبات القضية مع الاهتمام بين الملك وجماعة المملكة.

## *وفاة توماس الذي كان من قبل كونت فلاندرز*

وبات في هذه الآونة أيضـاً تومـاس الذي كـان كـونت فـلاندرز من قبل، والذي كان قد استخـرج من الملك والملكة صاحبي العقل الساذج

آلاف مؤلفة من الماركات، وكل هذه الأموال قد تبددت مثل حبوب زرعت على شاطىء البحر، وذلك مثلما حدث لكثير من الأموال الأخرى، التي وزعت بين الأجانب وجرى الاستيلاء عليها من قبلهم من أجل ايذاء المملكة وخسارتها، وكان قد قام من دون أي سبب بإلحاق أذى كبيراً بكنيسة القديس ألبان، وزاد من الخلاف بينها وبين الملك، ويقال بأن السم قد دس له في القارة، فهذا ماورد في أحد التقارير، وغادر هذه الحياة لينال الجزاء على أفاعيله،

## *كيف جرى إرسال وفد إلى بارلمان ملك فرنسا*

وفي حوالي الأول من نيسان، وبناء على أمر من ملك انكلترا، ونصيحة باروناته، أقلع ايرلا: كلير وليستر، وجون مانسيل، وبطرس أوف سافوي، وروبرت ويلران، إلى القارة، من أجل أن يكونوا حاضرين في البارلمان الذي كان سيعقد في فرنسا، من قبل ملك تلك البلاد، وللترتيب لعدد من القضايا الصعبة المتعلقة بمملكتي فرنسا، وانكلترا، وأخذوا معهم صكاً من ملك انكلترا، تعلق بالتنازل عن نورماندي، وكذلك رسائل اعتماد، تخولهم التوصل إلى اتفاقات مع ملك فرنسا ومجلسه، حول المسائل الخلافية بين الملكين ومملكتيهما، وفي سبيل أن تكون الاتفاقيات التي عقدت من قبل، كما ذكرنا أعلاه بين الرسل البارعين والمعينين خصيصاً، ثابتة، وغير مخروقة، ولكن نظراً لتشتت الوفد المذكور، لم ينشر أي شيء حول الذي أنجز في هذه القضية، ولذلك لايمكن ذكر أية إفادة معتمدة حولها في هذا الكتاب.

## *كيف استولى الرهبان الدومينيكان على دير دنستيبل*

وفي ذلك الوقت نفسه أيضاً، كان هناك بيت واقع في المنطقة التابعة والمجاورة لدير دنستيبل Dunstable, قد أعطي إلى الرهبان الدومينيكان، فقامت مجموعة من تلك الطائفة بتشوق، ولكن بصورة

سرية، فشقت طريقها بالقوة إلى داخل الدير، مما ألحق ضرراً كبيراً برئيس رهبان ورهبان دنستيبل، وقد تشجعوا على القيام بهذا بالمثل الذي ضربه الرهبان الفرنسيسكان، الذين حصلوا على مكان للإقامة في دير القديس ادموند، ضد ارادة ذلك الدير، مع إلحاق ضرر كبير به وبرهبانه، وقد عمروا هناك مباني كبيرة النفقات، حتى أن كل من نظر إليهم أصيب بالدهشة تجاه الانفاق المفاجيء والكبير لمثل تلك المبالغ الكبيرة من المال، من قبل هؤلاء الرهبان الفقراء، والأشخاص الذين احترفوا الفقر التطوعي، وكان بعدما تمكن الرهبان الذين تقدم ذكرهم من الحصول على مدخل إلى المكان المذكور فجأة وبالقوة، شيدوا مذبحاً، ومن دون انتظار الحصول على اذن من أي واحد، أقاموا القداسات هناك، وكانوا في الحقيقة قد تشجعوا بالتجهيزات التي كانوا قد تسلموها، وبالامتيازات التي رغبوا بها، وبالحماية التي قدمت إليهم من قبل الكاردينال هوغ، الذي كان راهباً من طائفتهم، له وزن كبير وأشادوا يوماً بعد آخر أبنية، وسعوا إلى زيادة ممتلكاتهم، مما ألحق الضرر الكبير بدير دنستيبل، وذلك عن طريق جمع التبرعات من الأماكن المجاورة، وهي الأماكن التي توجب أن يتسلم منها رئيس الرهبان والرهبان مواردهم، وزاد الرهبان الدومينيكان من أبنيتهم كما وسعوا ممتلكاتهم، إلى حد أن امتيازات رئيس الرهبان والرهبان قد زالت، لأن النفقات التي كانوا يتلقونها من المباني قد أعطيت الآن إلى الرهبان الدومينيكان، الذين فقدوهم، وهؤلاء الرهبان الذين قدموا حديثاً، تمكنوا بأعمال تبشيرهم المستعجلة، من الاغتصاب الكامل للمنح التي كانت بالعادة تقدم إليهم.

## موت كونتسة بولون

في الأسبوع الأول من الصوم الكبير لهذا العام، ماتت كونتسة بولون، التي من خلال طغيانها أزهقت أرواح أعداد كبيرةمن بني البشر، وهم الذين قتلوا قبل عدة سنوات مضت، وقد مضت الآن لتجني ثمار أعمالها.

## كيف جرى تعيين شيخين في روما حيث شرعا بالأعمال العدوانية ضد الشيخ الذي جرى تعيينه مؤخراً

في هذا العام، وفي أعقاب تدمير دفاعات مدينة روما، اجتمع المواطنون وهم في حالة هياج وغضب، وعينوا شيخين جديدين، تمكنا من جمع قوة كبيرة، تشكلت من الطبقات الوسطى لروما، ومن ثم شرعا بالأعمال العدوانية ضد الشيخ الذي جرى تعيينه مؤخراً، أي عم (خال) برانكليون، وحاصروه في قلعة المدينة، حيث قرروا اعتقاله، وتمزيقه إلى أشلاء، وقد وثق هو واستند على يمين الولاء الذي أعطي له، واعتمد على الرهائن، الذين احتفظ بهم في بولونا مدينته الأصيلة، ودافع عن نفسه بنشاط، ليبرهن أنه لم يبتعد عن الروح النبيلة لابن أخيه (أخته) وسلفه، ولذلك أنهكت روما إلى حد كبير، والتهمت نفسها داخلياً.

## الخلافات التي تفجرت في ثلاث جامعات

وأثناء هذا الصوم الكبير نفسه، تفجر خلاف جاد في اكسفورد وكمبردج، نتيجة لاطلاق سراح شخص كان قد أدين بالقتل، وجاء اطلاق سراحه بالقوة من قبل الكهنة، الذين حطموا أبواب سجنه، وأخرجوه منه، ووضعوه في الكنيسة من أجل الحماية، كما أن جامعة باريس قد اضطربت كثيراً من قبل الرهبان الفرنسيسكان والدومينيكان، وفي الحقيقة نشأت طوائف كثيرة جداً، حيث حلت طائفة محل الأخرى، ولم يمتلك الناس الإمكانيات لدعمهم بصدقاتهم.

## الخلاف بين إيرلي غلوستر وليستر

وفي هذه الآونة، وعندما كان الناس مشغولين كثيراً، أثناء انهماك البارلمان في عمل قوانين نافعة وأوامر ومراسيم، جرى تبادل بعض الكلمات الغاضبة بين ايرلي غلوستر وليستر، ولأن الايرل الأخير غضب من الأول، ومن تقلباته في مواقفه وتأييده لخططهم المقترحة، ولذلك

تفوه بالخطاب: «أنا لا يهمني أن أعيش، أو أن تكون لي علاقات مع أناس تافهين إلى هذه الدرجة ومخادعين، لأننا جميعاً اتحدنا في الوعد، وأقسمنا على تنفيذ الخطة التي كنا نناقشها، وبالنسبة لك يا مولاي ايرل غلوستر، إنه بقدر علو مرتبتك فوقنا جميعاً، مثل ذلك أنت ملزم بوضع هذه القوانين الصحيحة موضع التنفيذ»، وما أن أنهى خطابه هذا حتى غادر انكلترا، وقام ايرل هيرفورد ونبلاء آخرون من نظرائهما، لدى سماعهم لهذا الخطاب، بالإيماء إلى ايرل غلوستر، بأن ايرل ليستر قد سافر بسببه، وأنه يتوجب استدعاءه وتهدءته بأسرع وقت ممكن، وذلك بدلاً من إثارته إلى هذه الدرجة من الأذى، وليكن هذا في سبيل الوقوف إلى جانب زملائه، وأيضاً إنه يتوجب على ايرل غلوستر أن يقوم مخلصاً بتنفيذ أيمانه بالموافقة على قوانينهم وقدراتهم، وأن يتولى عمل اصلاح في ممتلكاته بالتوافق معهم ومع الذي صنعوه، وإلا سوف يعاقبونه لتقلباته، وقد أخاف هذا الايرل المذكور، فأرسل قهرمانه هيروين Horion, ليجول في جميع ممتلكاته مع أوامر بأن يتأكد من أن العدل يجري تطبيقه وفقاً للقوانين، وأن كل شيء ينبغي ترتيبه من دون تأخير، وفقاً لشروط وعده الأخير، وبذلك هدأت عاصفة الغضب إلى حد كبير، ومع أن إيرل ليستر كان ما يزال في القارة، إنه نتيجة لهذه الاصلاحات، توفرت آمال أكبر، ومشاعر أكثر وثوقاً بعودته.

## *العوائق في طريق إقامة سلام بين ملكي فرنسا وانكلترا*

تلقت ترتيبات السلام بين ملكي فرنسا وانكلترا، التي تقدم ذكرها أعلاه، والتي عهد بإدارتها إلى عدد من الرسل الخاصين، ذوي النفوذ الكبير، انتكاسة غير متوقعة، وذلك في الوقت الذي ساد اعتقاد أنهم قد وصلوا إلى نقطة القناعة والرضى في الاتفاقات، لأن كونتيسة ليستر لم تكن لترضى بأي حال من الأحوال بالتنازل عن حصتها في نورماندي، التي كان ملك انكلترا سيتنازل عنها إلى ملك فرنسا، وفقاً لشروط

الاتفاق، ونتيجة لهذا كان ايرل غلوستر قد قذف بكلام مهين نحو ايرل ليستر، الذي سدد له عدوانه الكلامي، بكلام مثله كان حاداً وقاسياً، ووصلت القضية إلى قرابة سفك الدماء، لكنهما ضبطا من قبل أصدقائهما المشتركين، في سبيل أن لا يجد الفرنسيون سبباً للسرور من تلك الواقعة، وهكذا عاد المندوبون من دون إنجاز هدفهم، وذلك وسط سخرية الفرنسيين.

## *معركة بين الداوية والاسبتارية*

وحدث في حوالي الوقت نفسه في عكا أيضاً، أن تخاصم الداوية ورهبان القديس لعازر، والقديس توماس، من جانب، والاسبتارية وشيعتهم في ذلك الجوار، بالاضافة إلى بعض الآخرين، الذين تألفوا من الجنويين والبيازنة من الجانب الآخر، وحدث الخصام فيما بينهم في الأرض المقدسة، وبرهن الذين عدوا بالعادة أنفسهم المدافعين الشرعيين عن الكنيسة، أنهم الآن أكثر المدمرين للسلام تعطشاً لسفك الدماء، وتدميراً لبعضهم بعضاً، وللكنيسة المذكورة، وثار الاسبتارية كلهم من دون استثناء ضد الداوية، وجاء ذلك نتيجة لبعض الأحقاد المميتة فيما بينهم، وبعدما فقدوا عدداً كبيراً من كتلتهم، دمروهم تماماً، وفي الحقيقة بالكاد لم ينج ولا رجل واحد من الداوية، في حين بقي عدد كبير جداً من الاسبتارية على قيد الحياة، وفي الواقع، لم يذكر قط أن مثل هذه المذبحة وقعت بين المسيحيين، خاصة بين الرهبان، ونتيجة لهذه الكارثة، عقد جميع الذين بقيوا من الداوية في الأرض المقدسة اجتماعاً في حالة الطوارىء هذه، ووفقاً لأحد التقارير، أرسلوا رسالة مستعجلة كثيراً إلى جميع رهبان طائفتهم، الذين كانوا ساكنين في ديرة تابعة للطائفة نفسها في جميع البلدان، بأن يضعوا من هو لازم للعناية بكل دير من الديرة، وأن يضعوا جانباً جميع الأعذار للتأخير، وليقدموا بكل سرعة إلى الأرض المقدسة، ليسدوا إلى حد ما الفراغ في ديرتهم في عكا، بسبب

دمـار وهلاك عدد كبير جـداً من اخـوانهم هناك، وأيضاً من أجل أخـذ انتقام مخيف من الاسبتـارية بقوة السـلاح، ولذلك انتشر، نتيجة لذلك، شعـور عظيم بالخوف في جميع أنحاء العـالم، وأنه مالم يقم الرب القـدير بتهدئـة غضبهم، فإن استقرار العالم المسيحي سوف يتعـرض إلى الدمار، إلى حد كبير، من خلال حقدهم الذي هو بلاحدود.

## *كيف حصل البابا بصورة سرية على المنصب الامبراطوري للإيرل رتشارد عندما كان مقيماً في إنكلترا*

وفي الوقت نفسه، عندما كان ملك ألمانيا مقيماً بسلام في انكلترا، أعدّ له طريق سهل للحصـول على المرتبـة الامبراطورية، وصنع هذا من قبل البـابا نفسه، بشكل تآمـري خفي، وببراعة عميقـة، حتى لايظهر نفسـه عـدواً معلناً لملك اسبـانيـا، وبقي على كل حـال، ملك ألمانيـا هادئـاً في انكلترا، في سبيل أن يجمع المزيد من الأمـوال، وذلك حتى يحتـاط ضـد أوقات الحاجة في المستقبل.

وفي الوقت نفسه أوقف نبـلاء انكلترا بحكمة أنفسهم على أن يضعوا موضع التنفيذ القرارات التي كانـوا قد توصلوا إليها، واهتموا قليلاً، أو بالحري لم يهتمـوا مطلقـاً أبقي الملـك المذكـور مقيماً أم غـادر، وبالاجماع صرفوا كل اهتمامهم لتدمير الأعراف الشريرة، وأفاعيل الظلم والفساد.

## *وباء حاد ووفاة فولك أسقف لندن*

وفي العام نفسه، عندمـا كانت الشمس تدخل إلى برج السرطان، وقع وباء مميت وغير متوقع على بني البشر، ودون أن نذكر شيئاً عن الأعداد الكبيرة من الناس الذيـن مـاتوا في مختلـف المناطق، نجـد أنه في باريس وحـدها، أكثـر من ألـف من بني البشر أودعـوا في القبر، ولحق الفسـاد أيضـاً: الزيـت، والخمـرة، والقمح، وبات الحال وكأن مـائتي سيف للموت جـردت ولم توفر أحداً، فضربت أحيـاناً واحداً، وأحيـاناً أخرى

آخر، وطردت من الدنيا الغني والفقير، ومثل هذا وعلى هذه الصورة، مات فولك أسقف لندن، أثناء ذلك الوباء المميت، وكان ذلك الأسقف من أصل نبيل، ومن أسرة سامية، ولو أنه قبل قليل من الوقت مضى لم يتقلب في إعطاء تأييده للترتيبات العامة للمملكة، لبات يعدّ مرساة الاستقرار، وترس الدفاع عن المملكة كلها، ودفن أخيراً بمهابة مستحقة، في يوم عيد القديس أوربان، في كنيسة القديس بولص في لندن، بحكم أنه كان الأب والراعي لتلك الكنيسة.

## *إدانة وولتر سكوتني*

وعرض في الأسبوع نفسه وولتر سكوتني، الذي كان من قبل قهرمان ايرل غلوستر، والذي كان قد اتهم بدس السم، واعتقل، ووضع في سجن مضيق عليه في ثلاث كونتيات، خاصة في كونتية وينكستر، عرض تبرئة نفسه من التهمة، ولكن الذي كان محزناً أن ترويه وأن تسمعه، هو أن الواقعة نفسها التي منحته الثقة الكبيرة في اطلاق سراحه، كانت السبب في اصدار الحكم عليه بالإدانة، لأن الذين طلب منهم تقديم بينة صحيحة في المحكمة عن الذي عرفوه حول القضية، أجابوا: «بما أننا لم نعرف قط أو سمعنا، بأن وليم دي بلنسية المتقدم ذكره، أو أي واحد من إخوته، كان مداناً بأي شكل من الأشكال لوولتر المذكور، وإن الذي نعرفه بشكل صحيح ومتأكدين منه هو أن وولتر المذكور قد تسلم مؤخراً كمية كبيرة جداً من المال، من وليم المتقدم ذكره، وبناء عليه، نحن أكثر ميلاً نحو الاعتقاد بأن هذه الأموال قد دفعت إليه من أجل تدبير دس السم إلى مولاه الايرل، وإلى وليم دي كلير أخيه، وإلى كثيرين آخرين، كما ورد الذكر أعلاه، لإرضاء رغبة الانتقام لدى الفئات المنفية، وليس سداداً لأي دين جرى التعاقد عليه من قبل فيما بينهم، ونحن متأكدين أكثر من صحة هذا الرأي، بوساطة حقيقة أن وليم دي كلير، عندما وجد أنه قد سمم، وأنه قد اقترب من

الموت، قال بصورة علنية: «ليعلم جميعكم أن وولتر سكوتني هو الذي عهد بي إلى فكي الموت»، وبناء على هذا، تبين للقضاة أنه كان مجرماً بعمل الخيانة هذا، وبذلك تمّ جره إلى وينكستر ليعلق على المشنقة.

★★★ ★★★ ★★★ ★★★

## ملاحظة

ينبغي أن يكون معلوماً، أن هذا العمل قد كتب إلى هذا المكان من قبل الراهب المبجل متى باريس، ومع أن خط اليد قد يتنوع، فإن الأسلوب نفسه بالتصنيف أمر ملاحظ، ولذلك فإن جميع ماتقدم معزو إليه، إنما الذي كتب هاهنا فيما بعد وأضيف هو معزو لراهب آخر، أقدم على محاولة —مع أنه غير جدير— متابعة عمل سلفه العظيم، وذلك على الرغم من أنه لم يكن أهلاً لفك أربطة حذائه، ولم يقم حتى بذكر اسمه في هذا الكتاب.

obeikandl.com

## ذيل تاريخ متى باريس

[ذكر مؤلف «شهود الحقيقة» هذا الذيل، ونسبة إلى راهب من الدير نفسه، وعزاه باليوس Balaeus (ص ٣٢٦، ٣٧٦، ٣٧٧) إلى وليم ريشنغر Rishanger, الذي كان راهباً في دير القديس ألبان].

★★★ ★★★ ★★★ ★★★

### الترتيبات بين ملكي إنكلترا وفرنسا من أجل إعادة ممتلكات ملك إنكلترا وأراضيه في القارة مقابل دفع مبلغ من المال

كان هذا العام نفسه، الذي هو العام الثالث والأربعين لحكم الملك هنري (الذي كان هو الثالث منذ الاستيلاء) فيه قد عبر هذا الملك إلى فرنسا، وطلب من الملك الفرنسي إعادة الأراضي التي أخذت ظلماً من أبيه جون، وذلك حين استولى عليها فيليب جد ملك فرنسا المذكور مع أبيه لويس، والتي ماتزال بشكل غير عادل محتفظ بها، وقدم الفرنسيون كثيراً من الحجج ضد ملك انكلترا، وكان من بينها حجة خاصة، هي أن هبة نورماندي لم تكن في الزمن القديم عن طواعية، بل اغتصبت بالقوة من الملك الفرنسي بوساطة دوق رولو Rollo وبما أن الملك لم يمتلك لاالشجاعة لاسترداد أراضيه المفقودة، ولامايكفي من مال لجمع جيش، وفوق ذلك كله أنه رأى أن رعيته على وشك الثورة ضده، قبل الشروط التالية للسلام، حيث أنه أرغم إلى حد ما على القبول بذلك، وقضت هذه الشروط ببقاء دوقية نورماندي وكونتية أنجو بحوذة الملك الفرنسي بسلام، ومقابل ذلك كان عليه أن يدفع إلى ملك انكلترا ثلاثمائة ألف باوند صغير من نقود تور، وبالاضافة إلى ذلك وعد بإعادة بعض الأراضي في غسكوني، وكانت تنتج سنوياً مورداً مقداره عشرين ألف باوند، وبموجب هذه الاتفاقية أيضاً تخلى ملك

انكلترا كلياً وبدون تحفظ عن ادعاءاته ومطالباته بجميع الأراضي التي كانت آنذاك بين يدي الملك الفرنسي، وأن يقوم منذ ذلك الوقت فصاعداً باختصار ألقابه في رسائله، وأن لايشير إلى نفسه لاباسم دوق نورماندي، ولاكونت أنجو.

## حرمان مانفرد كنسياً

وقام في هذا الوقت نفسه مانفرد بن فردريك، بتتويج نفسه ملكاً على صقلية، وفعل ذلك بناء على تسلم تقرير زائف أفاد بموت ابن أخيه كونرادين Conradin, وبناء على هذا حرمه البابا الاسكندر كنسياً على أنه محتل للمملكة لصالح المسلمين، وحرمه بموجب قرار قضائي من جميع ألقابه ومناصبه.

## التحكم الظالم للأجانب بإنكلترا

في هذه الآونة ظلمت انكلترا بطرق متعددة من خلال خبل وفسولة الملك، وجاء ذلك بوساطة تحكم البواتيين والرومان، وبشكل خاص ايشيلمار، الأسقف المنتخب لوينكستر، ووليم دي بلنسية، أخوي الملك لأمه، وبطرس أوف سافوي عم الملكة، التي عامل رهبان المملكة وكذلك العلمانيين بعدم احترام ووحشية، وكان أي واحد قد عانى من أذى، وذهب إلى قهرمان وليم المذكور، ليطلب العدالة، كان يتلقى مثل الجواب التالي: «إذا ماألحقت بك أنا الأذى من سيقدم لك العدالة؟ إن رغبات الملك متماشية مع رغبات معلمي، وليست معارضة لها»، وهكذا لم يظهر هو الاحترام لالملك أو إلى أي واحد من النبلاء، وفي هذه الأيام أيضاً ساد الرومان مع نائبهم البابوي في انكلترا، وألحقوا أضراراً جسيمة بالعلمانيين وكذلك باللاهوتيين بالمسائل المتعلقة بنذور الكنيسة، حيث جهزوا أصدقائهم بالمنافع الشاغرة حسب رغباتهم، ونصبوا أنفسهم في مواجهة الأساقفة، ورؤساء الرهبانيات، ورجال الدين

الآخرين، وطوقوهم بقرارات الحرمان الكنسي، ونتيجة لهذا سخط النبلاء من أعمال التجبر هذه، فحركوا أنفسهم —مع أن ذلك جاء متأخراً— لتقديم العلاج، وأرغموا الأجانب على الفرار من المملكة، حسبما سيظهر في الصفحات التالية، وهم في الحقيقة لم يطردوهم جميعاً، بل اهتموا بشكل خاص بطرد البواتيين.

## *وفاة البابا الاسكندر وخلافته من قبل البابا أوربان الرابع*

في عام النعمة ١٢٦٠، الذي كان العام الرابع والأربعين لحكم الملك هنري الثالث منذ الاستيلاء، كان الملك في لندن أيام عيد الميلاد مع حشد من الأجانب، ومات البابا الاسكندر في هذا العام، وقد خلفه أوربان الرابع، الذي كان من قبل بطريرك القدس، وبعد تتويجه، تمكن بمساعدة الصليبيين من هزيمة جيش للرومان، كان مانفرد قد أدخله بالقوة إلى ميراث القديس بطرس، وأعطى مملكة صقلية إلى شارل أخي ملك فرنسا، على شرط أن يقوم بطرد مانفرد من المملكة، ومنذ ذلك الحين بدأ ملوك صقلية يحملون رنوك ملك فرنسا.

## *موت يهودي في كنيف من خلال أوهامه*

وفي هذا الوقت نفسه حدث في توكبري Tewkesbury أن سقط يهودي في كنيف، وصدوراً عن احترامه للسبت، وهواليوم الذي وقع فيه الحادث، لم يسمح لنفسه بالاخراج، حتى اليوم التالي، الذي كان يوم أحد، ونتيجة لذلك مات، لأنه اختنق من الروائح القذرة.

ونشب في هذا العام خلاف بين الملك وبين نبلاء المملكة، نتيجة لعدم مراعاة الملك للشروط التي عملت في البارلمان الذي عقد في اكسفورد، وفوق هذا كله قيام الملك بصورة غير حكيمة بالرفع من شأن الأجانب، واسرافه في إغنائهم، وهم الذين لم يكونوا نافعين ولامخلصين للمملكة، ونتيجة لهذا تحالف النبلاء مع بعضهم بعضاً، وأمروا وليم دي بلنسية

وأتباعه بمغادرة انكلترا، وبعدم العودة مطلقاً، وذلك حسبما سنذكر بالتفصيل الكامل فيما بعد.

## كيف جرى تحليل الملك من يمينه بوساطة البابا

ندم الملك، الذي كان مع ابنه الأكبر ادوارد والبارونات، قد أقسموا بعزم وبدون تردد ونكوص على مراعاة القرارات التي اتخذت في اكسفورد، لإقسامهم ذلك اليمين، وخشي الملك من نيله تهمة الحنث باليمين، إذا لم يقم بالالتزام بهم ومراعاتهم، ولذلك بعث بشكل سري إلى البابا يرجوه أن يحلله من يمينه، وقد حصل على هذا المعروف بسهولة.

## كيف قوبل رجال العدالة بالصد في هيرفورد

في هذا الوقت جرى إرسال رجال العدالة الجوالين العاملين في خدمة ملك انكلترا إلى هيرفورد Hereford للقيام بواجبات وظيفتهم، لكن لم يسمح لهم بدخول المدينة، حيث ادعى أعيان الناس في تلك المنطقة من البلاد، أن قدومهم معاكس للقوانين التي عملت مؤخراً في اكسفورد، وهكذا عادوا دون انجاز لمهمتهم.

## مقتل الفلورنسيين

وحوالي الوقت نفسه تعرض الفلورنسيون، الذين تحالفوا مع بعضهم لتدمير مدينة سيينا، للهزيمة على أيدي جنود مانفرد، وكونت جوردان Jordan, الذي آثر قضية مانفرد، وجرى الاستيلاء على مدينتهم، ودمرت جزئياً، وهم أنفسهم أرغموا على الخضوع لحكم مانفرد والسيينيين.

## الحرب في هنغاريا

ووقعت حوالي الوقت نفسه معركة جادة جرى القتال فيها بين ملكي هنغاريا وبوهيميا بسبب بعض الأراضي، وتعرض الهنغار إلى الهزيمة،

فهربوا، فسقطت أعداد منهم للسيف، لكن أعداداً أكبر بكثير غرقت في نهر كانوا مرغمين على عبوره أثناء فرارهم، ثم دخل ملك بوهيميا إلى مملكة هنغاريا، وبناء عليه أعاد ملك تلك البلاد المناطق التي كان قد اغتصبها، وبوساطة حلف زواجي تأسست الصداقة وتثبتت بين الملكين من أجل المستقبل.

## *طرد البواتيين من إنكلترا*

ودخل في الوقت نفسه سيمون دي مونتفورت —ايرل ليستر، ورتشارد كلير— ايرل غلوستر، ونيقولا فتز— جون، وجون فتز— غيوفري، وعدد كبير من النبلاء، في حلف مع بعضهم، واجتمعوا في اكسفورد، وهم مجهزين كما ينبغي بالخيول والأسلحة، وقرروا تماماً، وعزموا في نفوسهم إما أن يموتوا من أجل سلام البلاد، أو أن يتمكنوا من نفي المفسدين للسلام، ومثيري الاضطراب من البلاد، وجاء إلى هناك أيضاً مع بعضهم إلى المكان الذي تقدم ذكره أعلاه ايثيلمار، الأسقف المنتخب لوينكستر، ووليم دي بلنسية، وبواتيون وأجانب آخرون، وكان يحيط بهم حشد من الأتباع والأشياع، ورغب النبلاء في دعوة هؤلاء الأخيرين لمواجهة العدالة من أجل أعمالهم الشريرة، وأن يلتحقوا بهم وينضموا إليهم في أداء اليمين على تطبيق القرارات والمبادىء، التي عملت من أجل منفعة المملكة، ولكن بما أن الأجانب وجدوا أنفسهم غير أكفاء بالشجاعة، وكانوا خائفين من الخضوع للعدالة والقضاء، هربوا أثناء الليل إلى قلعة وينشلسي Winchelsea, وهناك على كل حال تم اقناعهم من قبل البارونات —الذين أرغموهم على التخلي عن القلعة— على مغادرة المملكة فوراً.

## *دعوى الاتهام التي عملت ضد البواتيين أمام البابا*

وخاف النبلاء —على كل حال— من أن يقوم الأسقف المنتخب لوينكستر، بالذهاب إلى روما، وأن يتمكن بوساطة المال من دفع قضيته

هناك، حيث سيكون أكثر قدرة على إلحاق الأذى، ولذلك أرسلوا أربعة فرسان متمكنين من الفصاحة وأقوياء، إلى البلاط الروماني، وأمروا هؤلاء الفرسان بتقديم رسالة إلى البابا والكرادلة، مختومة بأختامهم، وهي حاوية على عرض للجرائم التي اقترفت من قبل الأسقف المنتخب المتقدم ذكره مع إخوته، وإفادة عن أعمال القتل، والسلب والنهب وعن مختلف أنواع الآثام الأخرى والمظالم، التي سحقوا بها شعب البلاد وآذوه.

## كيف جرى تحرير إنكلترا لبعض الوقت من الاستخراجات الرومانية

وعلاوة على ذلك أمر النبلاء الرهبان الضامنين لكنائس الرومان، بعدم عدّ أنفسهم مسؤولين عن الضمان أمام الرومان، بل أن يقدموا حساباً عن أعمال الضمان المذكورة وعن مواردهم إلى حماتهم، أي إلى البارونات، في يوم ومكان جرى تحديدهما مسبقاً من قبلهم، وأخبروهم أيضاً أنهم إذا تصرفوا بشكل معاكس، فإن مقتنياتهم سوف يعهد بها إلى النار، وهم أنفسهم سوف يحصلون على المخاطر التي كانت تهدد الرومان، وأعطوا الأوامر نفسها إلى الأساقفة، وحظروا عليهم أن يقوم أياً منهم بالتدخل في قضية الرومان أو مواردهم، تحت طائلة العقوبة، حسبما تقدم الذكر أعلاه، وبترتيبات البارونات هذه، بقيت انكلترا غير مضطربة بالاستخراجات لمدة ثلاثة أعوام تقريباً، أي حتى أذعن سيمون دي مونت فورت، الذي تقدم ذكره أعلاه للموت، وحين مات تتوج بالشهادة، كما هو معتقد بشكل عام.

## كيف حبس الملك نفسه في برج لندن

في عام النعمة ١٢٦١، الذي كان العام الخامس والأربعين لحكم الملك هنري، الثالث منذ الاستيلاء، كان الملك أثناء عيد الميلاد في برج

في لندن مع الملكة، وقد اقتيد إلى هناك بوساطة بعض النصائح الشريرة، لبعض الأشخاص، للتهرب من تنفيذ الاتفاق الذي كان قد عقده مع النبلاء، وفكر الآن باظهار مشاعره الغاضبة بشكل علني، ولهذا السبب حبس نفسه في برج لندن، وكسر مغاليق الأماكن الحاوية للمال، الذي جرى خزنه منذ زمن طويل، ووزع الأموال وبددها، واستأجر أيضاً عدداً من العمال لترميم وتحصين البرج المذكور، في الأماكن الأكثر صلاحية للدفاع، وعلاوة على ذلك، أمر بالأبواب التي حول مدينة لندن، بأن يجري تحصينها بعوارض وحواجز، ثم إنه جمع سكان المدينة ممن كان في الثانية عشرة من عمره فصاعداً، وجعلهم يقسمون على الاخلاص له، و كان هناك منادي ينادي في الوقت نفسه أن كل من يريد أن يقاتل من أجل الملك، عليه القدوم على الفور، وهو الذي سيتكفل بنفقاته، وعند سماع البارونات بهذا، تدفقوا كلهم من جميع الجهات مع وحدات كبيرة من الجنود، وعسكروا خارج المدينة، لأنه لم يسمح لهم بشكل مطلق بدخول المدينة للإقامة بها.

## *إرسال مندوبين من عند البارونات إلى الملك*

وتم في هذه الآونة الحصول على رسالة تحليل، فيها جرى تحليل الملك وابنه ادوارد من الأيمان التي كانا قد أدياها، حسبما تقدم الذكر أعلاه، لكن ادوارد رفض ذلك، أو الإفادة من هذا التحليل، في حين أصر الملك على عناده، وعندما سمع النبلاء بأن الملك جرى تحليله على هذه الصورة، أر سلوا رسلاً إليه، ورجوه بتواضع أن يحافظ على اليمين الذي أخذه بشكل عام معهم، وأن لايخرقه، وبينوا أنه إذا كان هناك أي شيء ليس مرضياً بالنسبة له ومكروهاً، عليه أن يبينه لهم حتى يقوموا بإصلاحه، ولم يقبل الملك بأي شكل من الأشكال بطلبهم ولم يستجب له، بل رد عليهم بخشونة وتهديد، بأنهم نأوا عن اتفاقهم، وأنه لن يذعن لرغباتهم، بل المتوجب من الآن فصاعداً، على كل واحد منهم أن

يتجهز من أجل الدفاع عن ذاته، وبعد لأي تم أخيراً الوصول إلى تسوية بوساطة بعض الأشخاص، وتم الاتفاق على انتخاب فريقين، الفريق الأول لصالح الملك، والفريق الثاني لصالح البارونات، وأن يقوم هذان الفريقان بانتخاب فريق ثالث، ومن ثم يقوم الفرقاء الثلاثة بسماع الشكاوى من على الجانبين، وأن يقوموا بترتيب سلام ثابت القواعد بينهما، لكن تمّ الاتفاق على تأجيل القضية حتى وصول ادوارد، الذي كان آنذاك في القارة.

## التحالف ضد المستشارين الأشرار

وكان ادوارد، الذي سمع بهذه الوقائع في منطقة نائية، وعندما سمع بها، عاد على الفور إلى الوطن، في سبيل أن لايجري تأخير إقامة السلام بسبب غيابه، وقد جلب معه وليم دي بلنسية الذي كان قد طرد مؤخراً من المملكة، وفي الحقيقة لم يكن الآن بإمكانه الحصول على اذن بالدخول إلى المملكة حتى يقوم بتأدية يمين بإطاعة القرارات والشروط العائدة للبارونات في جميع النقاط، وعليه إذا كان ضرورياً الاجابة على جميع الشكاوي التي قد تثار ضده، وعندما أخبر ادوارد، بعد وصوله، بالخطط الطائشة للملك، غضب كثيراً، ولم يقدم نفسه لأبيه، بل انضم إلى فريق البارونات تماشياً مع قسمه، وعقدت بعد ذلك اتفاقية فيما بينهم مشفوعة باليمين، بأن يبحثوا عن المستشارين الأشرار العائدين للملك مع محرضيهم، وأن يبقوهم بعيدين عن الملك، وذلك بقدر ما يمتلكون من قوة، وعندما أصبح الملك على دراية بهذا،حمل نفسه فوراً مع مستشاريه إلى برج لندن، وبقي ابنه ادوارد في الخارج مع البارونات.

## طرد الإمبراطور بلدوين من القسطنطينية

وجرى في هذا العام طرد بلدوين امبراطور الاغريق مع الفرنسيين واللاتين، وذلك من قبل الاغريق بمساعدة الجنويين والبنادقة، وبعدما

استرد الاغريق امبراطوريتهم على هذه الصورة، عينوا امبراطوراً عليهم واحداً من بينهم أنفسهم اسمه باليولوغوس Palaeologus, وهرب بلدوين، وبقي منفياً في فرنسا.

## مختصر أخبار العام

كان هذا العام كله عام خوف لانكلترا، واضطراب للملك وللبارونات، ومعطياً للسرور إلى الاغريق، وبغيضاً إلى اللاتين، وكان خصباً إلى حد ما في إنتاج الفواكه، ولطيف المناخ.

## كيف غادر ملك إنكلترا برج لندن

في عام النعمة ١٢٦٢، الذي كان العام السادس والأربعين لحكم الملك هنري، كان الملك المذكور في برج لندن بصحبة ملكته ومستشاريه، الذين لم يكونوا لانافعين له ولامخلصين، والذين كانوا يخافون من أن تجري محاولات للعنف ضدهم، لذلك أخذوا الاحتياطات بالبقاء وراء الأسوار في داخل البرج، وأمكن أخيراً، بوساطة الملكة، التوصل إلى عمل سلام مع بعض النبلاء، وإن كان ذلك مع بعض الصعوبة، وجرى تبادل قبل السلام، وبناء على هذا أظهر الملك نفسه بثقة أعظم خارج البرج، وترك جون مانسيل مسؤولاً عنه، ثم بادر مسرعاً إلى دوفر، ودخل إلى القلعة هناك، من دون اذن وأيضاً من دون اعتراض، ثم اكتشف الملك للمرة الأولى بأنه كان مفروضاً على الزيف والخديعة، وذلك عندما شاهد بأن القلعة كانت محروسة بعناية من قبل البارونات، وهي جاهزة تماماً ومهيأة لدخوله، وعهد الملك بالمسؤولية عن تلك القلعة إلى إ. E(?) ويلران، ثم بادر بالذهاب مسرعاً إلى قلعة روكستر، ومن هناك إلى بعض الحصون الأخرى، حيث وجد فيهم جميعاً مدخلاً حراً ومخرجاً حسب رغبته.

## كيف انحسب الملك علناً من يمينه اعتماداً منه على التحليل البابوي

تصور الملك الآن نفسه في أمان، لذلك قرر أن ينسحب بشكل علني من يمينه الذي أداه، بحكم أنه حصل على التحليل منه من البابا، ولهذا قام بجرأة بجولة على المدن والقلاع، لأنه رغب في امتلاك سلطة كاملة عليهم وعلى المملكة كلها، وقد تشجع كثيراً على القيام بها بحقيقة أن نبلاءه قد وعدوه مؤخراً بمساعدته بقوة قوية، ولدى وصوله إلى وينكستر عزل من وظيفتيهما كل من المسؤول عن العدالة وقاضي القضاة اللذين جرى تعيينهما مؤخراً من قبل البارونات، وعين بدلاً عنهما اثنين وافقا هواه ورغبته، وعندما سمع البارونات بهذا، بادروا مسرعين، وهم مسلحين ومعهم قوة كبيرة إلى وينكستر، لكن جون مانسيل الذي توقع هذا، ذهب سراً إلى الملك وحذره من الخطر، وأرغمه على العودة بكل سرعة إلى برج لندن.

وكان هذا العام كله خصباً في انتاج القمح والفواكه، وكان مشحوناً بالغش والخداع بالنسبة للانكليز.

## كيف خضع ملك إنكلترا والنبلاء إلى تحكيم ملك فرنسا

في عام النعمة ١٢٦٣، الذي كان العام السابع والأربعين لحكم الملك هنري الثالث، الحامل لهذا الاسم منذ الاستيلاء، أمضى الملك عيد الميلاد في برج لندن مع ملكته ومستشاريه، وفي هذه الآونة بذلت مساعي من قبل أساقفة انكلترا وكذلك أساقفة فرنسا لإعادة تأسيس السلام بين ملك انكلترا والبارونات، وكانت النتيجة أن أخضع الملك والنبلاء أنفسهم إلى تحكيم ملك فرنسا، وذلك بالنسبة للمقررات المتقدم ذكرها واتخذت في اكسفورد، وكذلك بالنسبة إلى أعمال الأذى والسلب التي اقترفت فيما بينهم.

## كيف أصدر ملك فرنسا قراره ضد بارونات إنكلترا

في اليوم التالي ليوم عيد القديس فينسنت Vincent, اجتمع عدد كبير جداً من الناس في اميان Amiens, وذلك عندما قام لويس ملك فرنسا، بحضور الأساقفة، والكونتات مع آخرين من نبلاء فرنسا، بإصدار قراره بشكل مهيب لصالح ملك انكلترا ضد البارونات، حيث قضى «بالإلغاء إلغاءً نهائياً: المقررات، والقوانين، والالزامات التي تقررت في اكسفورد، باستثناء القرار المتعلق بالصك القديم العائد إلى الملك جون ملك انكلترا، الذي جرى منحه إلى المجتمع على اتساعه»، ولم يقصد بمثل هذا القرار إلغائه بأي شكل من الأشكال، وتولى هذا الاستثناء تثبيت ايرل أوف ليستر وآخرين، الذين امتلكوا سرعة خاطر بالادراك، فوقفوا ثابتين إلى جانب مقاصدهم بدعم المقررات التي عملت في اكسفورد، والتي شكل ذلك الصك الأساس لها.

وفي هذا الوقت أيضاً، قام للويلين عدو الملك، وأمير ويلز، بإحداث مذبحة مع أعمال سلب في أراضي ادوارد ابن الملك هنري.

## عودة الملك مع مرافقيه من البارلمان الفرنسي

في هذا الوقت عاد إلى الوطن الذين كانوا حاضرين بارلمان الملك الفرنسي، وكان بين هؤلاء هنري ملك انكلترا، وملكته إليانور، وبونيفيس رئيس أساقفة كانتربري، وبطرس أسقف هيرفورد، وجون مانسيل، الذين تابعوا من دون-توقف التآمر لإحداث كل مايمكنهم من أذى ضد البارونات، وحدثت منذ ذلك الحين بالفعل غلطة جديدة أسوأ من الغلطة الماضية، ذلك أن عدداً من النبلاء حنثوا بأيمانهم، وانسحبوا من ولائهم الممنوح إلى ايرل ليستر، الذي كان يناضل من أجل العدالة، وقام هنري ابن ملك ألمانيا، بعدما تسلم لقب Tikhel الذي منح إليه من قبل ادوارد ابن الملك، بالذهاب إلى مقدم تحالف

البارونات وقال له: «مولاي الايرل أنا لايمكنني الاستمرار بعد الآن بالقتال ضد أبي، ملك ألمانيا، وضد عمي ملك انكلترا، وضد أقربائي الآخرين، وبناء عليه بموافقتك واذنك، أنا أترككم، لكنني لن أحمل السلاح ضدكم، وعلى هذا رد عليه المقدم قائلاً وهو غير مكترث: «مولاي هنري، أنا لست حزيناً على سلاحك، بل حزين من عدم الاستقرار الذي أراه فيك، وعلى هذا اذهب، مع أسلحتك، لأنني لاأخاف منهم بأي شكل من الأشكال»، وفي الوقت نفسه،انسحب أيضاً روجر دي كلففورد Clifford, وروجر ليبيرن Leyburne, وجون دي فوكس Vaux, وايمون لى استرانج Aimon L'Stranges, وكثير آخرون، أعمتهم الهدايا، لذلك تخلوا عن التحالف الذي أقسموا عليه بشكل عام للبارونات.

## *كيف شرع روجر مورتيمير بالأعمال العدوانية ضد البارونات*

ثار في هذه الآونة روجر مورتيمير Mortimer, —وكان من شيعة الملك— ضد ايرل ليستر، ونهب أراضيه ومزارعه، وكان مقدم حزب البارونات قد شكل تحالفاً وصداقة مع للويلين أمير ويلز، فأرسل جيشاً قوياً إلى تلك المنطقة قام بغزو أراضي روجر المذكور، ودمر ممتلكاته وأحرقها، وحاصر في الوقت نفسه ادوارد، واستولى عل قلعتي هي Haye وهنتنغدون Huntingdon, اللتان كانتا بحوذة همفري دي بوهن Bohun, كما أنه استولى على قلعة بريكنوك Brecknock, وسلمهم جميعاً إلى روجر المذكور ليكونوا تحت وصايته، وقام في حوالي الوقت نفسه روبرت فيرار Ferrers, ايرل دربي Derby, الذي لم يقف لاإلى جانب الملك ولا إلى جانب البارونات، والذي يمكنك القول أنه لم يدخل في عداد البارونات، قام بإلحاق كثير من الأذى، لأنه قاد قوة عسكرية

كبيرة، فأستولى بها على ووركستر، ودخل المدينة، ودمر مقراً يهودياً هناك،ونهب رجال الدين والعلمانيين سواء، وذلك حيثما التقى بهم، ودمر الحدائق الملكية، واقترف كثيراً من الآثام الأخرى، التي من أجلها اعتقل فيما بعد، وجلب إلى المحاكمة، وأودع في السجن في لندن، وفي حوالي الوقت نفسه استولى ادوارد ابن الملك على قلعة غلوستر ومدينتها بالخدعة، وصدوراً عن كراهيته للبارونات أرغمهم على تقديم فدية للمكان بدفع ألف باوند.

## *إجراءات البارونات*

في عام النعمة ١٢٦٤، الذي كان العام الثامن والأربعين لحكم الملك هنري، الذي هو الثالث بهذا الاسم منذ الاستيلاء، كان الملك المذكور في لندن أيام عيد الميلاد بصحبته ملكته، ورتشارد ملك ألمانيا وعدد كبير من الآخرين، وفي حوالي الوقت نفسه، نهب سيمون دي مونتفورت قائد البارونات، ممتلكات المتحيزين للملك، وخاصة الأجانب منهم، الذين كانوا متحالفين بالدم مع الملكة، وأدخلوا إلى انكلترا بوساطتها، واعتقل بعض شيعة البارونات، بطرس أسقف أوف هيرفورد، الذي كان بيرغندي الأصل، وحدث اعتقاله في كنيسته الكاتدرائية، وحملوه إلى قلعة أوردلي (؟) Ordely, وذلك بعدما عملوا اقتسام متساوي للمال فيما بينهم أنفسهم، وبعد هذا زحف جيش تحت إمرة سيمون دي مونتفورت إلى غلوستر، وحاصر القلعة لمدة أربعة أيام، واعتقل —لكن من دون متاعب كبيرة— حاكمها، متى دي بيسيلي Besille, وكان أجنبياً، ولكن جريئاً وفارساً شجاعاً، وقد حمل إلى مكان اعتقال الأسقف نفسه، ثم زحف مع قواته إلى ووركستر وبورغ Burgh أوشروبري، التي دخلوها واستولوا عليها مع مصاعب قليلة، ثم زحف الايرل مع جيش البارونات إلى الأجزاء الشرقية من انكلترا، ودخل إلى جزيرة إيلاي بقوات ضخمة، وجعل المنطقة كلها

خاضعة له، وكان الملك والملكة أثناء هذا الوقت كله مقيمان في لندن، وحوالي هذا الوقت هرب كاتبها الخاص ومستشارهما، جون مانسيل، الذي كان أغنى رجل في العالم، هرب تبعاً لأحد التقارير بشكل سري من برج لندن، خوفاً منه من انتقام البارونات، وفي هذه الآونة أيضاً، جرى اعتقال هنري ابن ملك ألمانيا من قبل وكلاء الملك، لأنه وقف إلى جانب الايرل والبارونات وآثر قضيتهم، ووصل في الوقت نفسه ادوارد ابن الملك من القارة، وعسكر في قلعة ويندسور Windsor مع بعض الجنود الأجانب، الذين جلبهم معه قبل وقت قصير مضى.

## *توقف الانهيار المفاجيء للسلام*

وخاف الملك من أن يشدد الضغط عليه في برج لندن من قبل جيش البارونات، لذلك أقام سلاماً مؤقتاً معهم، بوساطة بعض الأشخاص الجبناء، ووعد بالالتزام بالمقررات التي اتخذت في اكسفورد، لكن الملكة وقد أثيرت بمكرها النسائي، بذلت كل الذي كان بإمكانها لمنعه من فعل ذلك، ونتيجة لهذا السلوك، عندما رغبت في إحدى المناسبات بالذهاب إلى ويندسور عن طريق التيمز، وركبت في مركب من أجل هذه الغاية، تجمع حشد من الرعاع من الفئات الدنيا للمدينة على جسر توجب عليها المرور من تحته، واستقبلوها لدى اقترابها بإهانات مزيجةوباللعنات، وبرمي الوحل والحجارة في المركب، وأرغموها على العودة إلى البرج.

وجرى ابرام شكل من أشكال السلام بين الملك وبين الايرل والبارونات، وفق الشروط التالية، وهي: إنه «ينبغي في المقام الأول، اطلاق سراح هنري ابن ملك ألمانيا من الاعتقال، وأن جميع قلاع الملك في جميع أرجاء انكلترا ينبغي تسليمها إلى البارونات والعهدة بها إليهم، وأن القرارات التي اتخذت في اكسفورد ينبغي الالتزام بها من دون احباط، وأن جميع الأجانب، ينبغي عليهم خلال وقت محدد الخروج من

انكلترا، باستثناء الـذين سـوف يسمح لهم بالبقـاء في المملكة بناءعلى موافقـة عامة من البـارونات، على شرط اعطاء وعد بالسلوك المخلص، وأنه من ذلك الوقت فصـاعداً، على السكان المحليين، المخلصين وذوي الأخلاق الحميـدة، والذين يرعون مصـالح المملكة ويتطلعون إلى ذلك، تسلم المناصب، وترتيب، أعمال المملكة تحت توجيه الملك.

## تحصين قلعة ويندسور

بعـد وقت قصير من ابـرام هذه المعـاهدة، ومن دون التقيـد بالاتفاقيات، والوعود، والأيمان التي عملت، وضع بعض فرسان حزب الملك كميـات كبيرة مـن السـلاح والمؤن في قلعـة ويندسـور، وفي هذا الوقت نفسـه، ذهب ادوارد ابن الملـك إلى قلعـة بريستـول، حيث نشب خصـام بين فـرسـانه وبين شعب المدينة، الذين قـامـوا بعمل تحضيرات لحصـار القلعـة، وقـام ادوارد وهو مـذعـور، فبعث إلى وولتر أسقف ووركستر، الذي كان منحـازاً إلى البارونات، وذلك من أجل أن يذهب تحت حماية ذلك الأسقف إلى بلاط أبيه، ووعد بأن يقنع أبيه ومستشاريه بتبني إجـراءات السـلام، وبنـاء عليـه انطلق مـع الأسقف، لكن لدى وصوله إلى قلعـة ويندسور، دخل إليهـا، مما أزعج الأسقف كثيراً، الذي ارتاب به.

## كيف أعطيت قلعة ويندسور إلى الإيرل سيمون

كان الايرل سيمـون قد وصل لتـوه لإلقاء الحصـار على تلك القلعة، وقـد تلاقى قـرب بلدة كنغستـون Kingston مع ادوارد، الذي عرض عليـه الدخول في مفاوضات لإقـامة ترتيبات للسـلام معه، لكن الايرل —بناء على نصيحـة وولتر الأسقـف المتقـدم الذكـر— رفض الإصغاء إلى اقتراح ادوارد، ولدى رغبتـه بالعودة إلى القلعـة، احتفظ به سجيناً، ونتيجة لهذا، جرى تسليم قلعة ويندسور إلى الايرل، مع السماح

بإعطاء الحرية إلى الحاميـة بالمغـادرة مع جميع مقتنيـاتها إلى المكان الذي سوف يختـاره أفرادها، وأعطي الأمـان إلى الأجانب، وإلى الذيـن رغبوا بالعـودة إلى القارة، وفي هـذه الآونة تحالف للويلين، أمير ويلز بذاته مع ايرل سيمـون، وقام خـلال هذا الوقت بنهب كـونتية شيستر والتخـوم، وهـدم قلعتي دايسـارت Dysart وغنّوك Gannock, وكانتا عائدتين إلى ادوارد، وسواهما بالأرض.

وجرى بعد ذلك بوقت قصير عقد بارلمان في لندن، وفي هذا الاجتماع تحول كثيرون ممن كـانـوا واقفين إلى جـانب قضيـة الايـرل، إلى جـانب الملك، وكـان المقـدم بينهم هنري الألماني ابـن ملك ألمانيـا من زوجتـه الماضيـة، وبدأت قـوة الملـك تسترد الثبـات إلى بعض الحدود، ثم ذهب الملك إلى دوفـر، وحاول الاستيـلاء على تلك القلعـة وانتزاعهـا من بين يدي الايرل، لكنه أخفق في مقاصده، فقام بالمغادرة ثانية.

## *كيف أعطى البابا أوربان مملكة صقلية إلى الكونت شارل*

جرى انتخـاب الكونت شارل شيخاً دائماً لمدينة رومـا، وأعطاه البابا أوربان مملكة صقليـة، وأن تبقى بين أيدي ذريتـه حتـى الوريث الرابع، على أساس التفاهم بأن ينتزعها من مانفرد.

وفي هذه الآونـة ذهب الملك هنري إلى اكسفـورد ليقـدم صلـواته وليـزور ضريح القـديس فـريدوز Fredeswith, الأمـر الذي لم يتجـرأ على عمله ملك لانكلترا قط قبله، وبذلك أظهـر أنه لايخاف من الآراء الواهمة للذين رأوا أنه غير شرعي للملوك الانكليـز دخـول تلك المدينة، لأن العذراء سـوف تزورهم بانتقامهـا، والتحق به ابنه ادوارد في ذلك المكان، واقترح أن يقـومـا بقـواتهما المتحـدة بطرد البـارونات وابعـادهم بقـوة السلاح، وشرع بطرد رجـال اللاهوت من اكسـفورد، لكن حـدث في الوقت نفسـه، أن قـام مـواطنو لندن باعتقـال رجـال

العدالة التابعين للملك، وبارونات بيت المال، وألقوا بهم في السجن، وكان مع الملك في هذا الوقت الأمراء المشهورين التالين مع الشخصيات المهمة التالية: رتشارد ملك ألمانيا وعديله، وابنه ادوارد، ووليم دي بلنسية أخيه لأمه، والفارس المتميز جون كومين Comyn السكوتلندي مع حشد من السكوتلنديين، وجون بالأويل —لورد غالووي Galloway, وروبرت بروس Bruce —لورد أناندیل Annandale, وروجر كلففورد Clifford, وفيليب مارميون Marmion, وجون دي فوكس Vaux, وروجر ليبيرن Leyburne, وهنري بيرسي Percy, وفيليب باسيت، وروجر مورتيمير Mortimer, وانطلق مصحوباً بهؤلاء ومتبوعاً بجيشه يريد نورثأمبتون، وألقى الحصار على ذلك المكان، وتمكن في يوم الأحد في أسبوع الآلام من احداث ثلمة، ودخل إلى البلدة، وهنا أسر خمسة عشر فارساً من ذوي الأعلام هم: سيمون الأصغر، ووليم فيرير Ferrers, وبطرس دي مونتفورت، وبلدوين ويك Wake, وآدم نيومماركت Newmarket, وروجر بيرتراند Bertrand, وسيمون فتز— سيمون، الذي كان أول من رفع الراية ضد الملك، وبيرنير Berengere دي ووترفيل Waterville, وهوغ غبيون Gebion, وتوماس مونسيل Mauncel, وروجر بوتيفيلين Boteveleyn, ونيقولا ويك Wake, وروبرت نيونغتون Newington, وفيليب درايبي Drieby, وغريمبولد بونيمونت Grimbald, Paunsemont وقد أرسل بهم جميعاً إلى مختلف الحصون، حتى يجري حفظهم في سجون مضيقة، وبالاضافة إلى هؤلاء وقع بالأسر أيضاً حوالي الأربعين فارساً من مرتبة أدنى مع عدد من حملة الترسة.

## زحوف الملك والبارونات

وزحف الملك من ذلك المكان نحو نوتنغهام، حيث نهب عزب البارونات، واجتاحها من جميع الجهات، وعاملها بالنار والسيف، وازداد عدد أتباعه بشكل كبير، وعند سماع الايرل سيمون بهذه الإجراءات، ذهب إلى لندن، وأعد آلاتاً للحرب، في سبيل استخدامهم، لأنه عزم على حصار مدينة روكستر، التي كانت آنذاك بحوذة جون وارني، ومدافع عليها من قبله، وعندما كان سيمون وجيشه قد استوليا على الباب الأول للمدينة وعلى الجسر، سمع أخباراً جلبت إليه ولمن معه بأن الملك كان زاحفاً على لندن، وبناء عليه رفعوا الحصار، وزحفوا مسرعين للقائه، وقام الملك على كل حال بالابتعاد عن لندن، واستولى على قلعة كنغستون Kingston التي كانت عائدة إلى ايرل غلوستر، وزحف على روكستر، وهزم الذين تركوا فيها لحفظ البلدة والدفاع عنها، وذلك بعدما قتل عدداً كبيراً منهم، ثم استولى بعد ذلك على قلعة تونبردج Tunbridge, وقد وجد فيها كونتسة غلوستر، فسمح لها بالمغادرة وهي حرة، وبعدما ترك كتلة كافية من الجنود لحماية القلعة المسماة أخيراً، زحف إلى وينشيلسي Winchelsea, حيث سمح لشعب الموانىء بعمل سلامهم معه، ومن ثم تابع تقدمه حتى وصل إلى لويس Lewes, وجرت ضيافته في ذلك المكان في رئاسة الرهبانية، في حين عسكر ابنه ادوارد في القلعة، وعندما كان هناك كتب إليه البارونات الرسالة التالية:

## رسالة البارونات إلى ملك إنكلترا

**«إلى عظمة جلالة مولاهم هنري، الذي بفضل نعمة الرب الملك اللامع لانكلترا، وسيد ايرلاندا، ودوق أكوتين، من باروناته والآخرين من رعاياه المخلصين الذين يرغبون بالالتزام بيمين الاخلاص للرب وله، تحيات، مع جميع الخضوع الصحيح، والتشريف والاحترام.**

إنه واضح تمام الوضـــوح، من عـــدة براهين، أن هنـاك بعض الأشخـاص الذين حول ذاتك، قـد كـدسوا الكذب فـوق الكذب، فيما يتعلق بنا وبجـلالتك، ويحاولون إلحاق كل أذى هـو بإمكانهم، ليس بنا فقط، ولكن بك أيضاً وبالمملكة كلها، ويمكن لجلالتك أن تكون متأكداً أن رغبتنا هي حفظ صحتك وسـلامة شخصـك بكل ماأوتينا من قـوة، وذلك مع الاخـلاص المستحق لـك، وأن غـايتنا هي أن نطرد —بقـدر مـالدينا مـن قـدرة— ليس فقط أعـداءنا، بل أيضـاً أعـداءك، وأعـداء مملكتك كلهـا فهل يرضي جـلالتك أن لاتصدق إفـاداتهم، وبالنسبـة لنا فإنك ســوف تجدنا رعــايا مخلصين لك، وقــد قــام ايرل أوف ليستر، وغيلبرت دي كلير بوضع أختامنا على هذه الـرسالة، بنا ءعلى طلب من البقيـة، وذلك من أجلهم ومن أجلنا. صدر، إلخ، إلخ»، وعـامل الملك هذه الرسالة باستخفاف، وتشوق من قلبه كله من أجل معركة، ولذلك رد عليهم برسالة التحدي التالية:

## *جواب الملك على الرسالة المذكورة أعلاه*

**«من هنري، الـذي هو بنعمـة الرب، ملك انكلترا، سيـــد ايرلاندا، ودوق أكـــوتين إلى سيمـــون دي مـــونتفـــورت وغيلبرت دي كلير ومشايعيهما:**

إنه لمن الواضح تماماً، من خلال إجراءات الحرب، وإثارة الاضطراب في مملكتنا من قبلكم، وكذلك أعمال الاحـراق والجرائم الكبيرة الأخرى التي اقترفت من قبلكم، أنكم لاتراعـون نحـونا الاخـلاص الحقيق بنا، وأنكم غير مهتمين بسلامة شخصنا، لأنكم آذيتم النبلاء كثيراً، والرعايا المخلصين لنا، والذين وقفـوا بثبـات إلى جـانب اخـلاصهم لنا، وحسبما أخبرتمونا في رسالتكـم، أن هدفكم العمل بقدر مـاهو متوفـر بقدرتكم، إننا نعـد الآن أن الإضرار بهم إضراراً لحق بنا، وأن أعداءهم هم أعـداء لنا، وكما قلنا من قبـل هم رعـايا مخلصين لنا، في الالتـزام بـاخـلاصهم

نحونـا، وقد ساعـدونا باخلاص ضـدكم في انعدام الاخـلاص لديكم، ونحن لسنا مهتمين لاباخـلاصكم ولابحبكم، ونحن نرفض أعـداءهم، شهـدت بنفسي في لويس، في هذا اليـوم الثـاني عشر من أيار، في السنة الثامنة والأربعين لحكمنا».

وكتب ملـك ألمانيـــا، وادوارد ابن الملك إلى الايـرل المذكـــور وإلى المتعـاونين معـه باسمهما، وبأسماء الآخـرين المؤيدين لقضيـة الملك وفق الصيغة التالية:

## *رسالة رتشارد ملك ألمانيا إلى البارونات*

**«من رتشارد الذي هو بنعمـة الرب، الملك الأغسطس للرومان، ومن ادوارد الابن الأكبر لملك انكلترا اللامع، ومن جميع البـارونات الآخـرين والفـرسـان المتمسكين بثبات بولائهـم نحو ملك انكلترا المتقـدم ذكـره، باخـلاص صـــافي، ومع جميع ممتلكاتهم، إلى سيمـون دي مـــونتفـورت، وغيلبرت دي كلير، وإلى جميع المتعاونين معهما في غدرهما:**

علمنا من رسـائلكم التي قـدمناها إلى مـولانا الملك اللامع لانكلترا، أننا مـرفـوضين من قبلكم، مع أن عمل هذا الـرفض لم يكن ضرورياً، ولكن هذا بات واضحـاً إلينا بوسـاطة أعمالكم العـدوانيـة، وقد جـرى تنفيذه باحراق ممتلكاتنا، ونهب أراضينا واجتياحها، وبناء عليه نحن نود أن تعلموا جميعاً أننا نرفضكم جميعـاً وواحداً واحداً، وننظر إليكم أعداء معلنين، ونخبركم أننا سـوف نستخدم من الآن فصـاعداً جميع جهـودنا لإلحاق الأذى بكم، في كل ممتلكاتكم وأشخاصكم، وذلك حيثما وجدنا سبيـلاً لفعـل ذلك، وفيما يتعلق بالذي أكـدتموه بشكـل زائف، وهو أننا غير مخلصين للملك، وأننا لانقدم له النصيحة الصالحة، إن الذي قلتموه ليس صحيحاً بأي شكـل من الأشكال، وإذا مارغبت يامـولانا سيمون دي مـونتفـورت، أو أنت ياغيلبرت دي كلير، بتقـــديم هذه الإفـادة في

محكمة مولانا الملك، نحن على استعداد لأن نمنحكم أماناً حتى تقدموا إلى المحكمة المذكورة، وذلك حيث سنكون نحن جاهزين أيضاً للبرهنة على براءتنا، وعلى زيف كل منكما، وأنكما خائنين جبانين، وذلك بوساطة واحد سيكون مساوياً لكما في الأصل والمكانة، ونحن جميعاً داخلين ومشمولين تحت ختمي: صاحب الجلالة ملك الرومان، ومولانا ادوارد. صدر كما ورد أعلاه».

## *الرفض الثاني لطلب البارونات من أجل السلام*

وأرسل البارونات ثانية، هنري أسقف لندن، ووليم كانتيلوب Cantelupe أسقف ووركستر، إلى الملك بمثابة وسطاء، لإقامة السلام، وعرضوا دفع ثلاثين ألف باوند مقابل الأضرار التي عملت في جميع أرجاء المملكة من قبلهم، شريطة الحفاظ على كل الاحترام للقرارات التي عملت في اكسفورد، لكن ملك ألمانيا رفض الاصغاء للسلام بأي شكل من الأشكال، لأنه كان في حالة سخط كبير لأن البارونات قد ثاروا ضده، ونهبوا ممتلكاته، وقد صرح ضد السلام، ومنع في الوقت الحاضر الترتيبات، ولذلك عاد الرسولان ليعلنا بأن الفئة المضادة باتت مستعدة تماماً للحرب، وأن هذا كان قراراً نهائياً، ولذلك أمضى الايرل سيمون تلك الليلة كلها من دون نوم، وأمضى الوقت كله في الصلاة، وتأدية الواجبات المقدسة، وحث أصحابه وأتباعه على القيام بالاعتراف، وأعطى وليم كانتيلوب —أسقف ووركستر تحليلاً إليهم جميعاً، وأوجب عليهم، في سبيل الخلاص من ذنوبهم ونيل ذلك، القتال بنشاط ورجولة في ذلك اليوم من أجل العدالة، ووعد بالدخول إلى ملكوت السموات إلى جميع الذين سوف يموتون في سبيل مثل تلك القضية، وعندما بات جيش البارونات متأكداً بأن المعركة باتت وشيكة، غادر قبل الفجر قرية فلشنغ Fleching, حيث أمضى جزءاً كبيراً منهم الليل هناك، والتي

كـانت على بعد حـوالي ستة أميـال عن لويس، وقبل أن يبـدأوا بالحملة منح الايرل سيمون شرف الفروسية لغيلبرت كلير.

## استراتيجية سيمون دي مونتفورت

وعندمـا وصلوا إلى مكان بالكاد كـان على مسـافـة ميلين من بلدة لويس، صعد سيمون مع رفاقه على مكان مرتفع، ووضع عربته فوقه في وسط الأثقـال وخيـول التحميل، وعـرض هناك رايتـه وربطهـا بشكل محكم إلى العربة، وأحاطها بعـدد كبير من جنوده، واستحوذ هو وجيشه على الأرض من على جهتـي هذا المكان، وانتظـر نتيجـة الأحـداث، وسجن في عربة أخرى أربعـة مواطنين من لندن كانوا قد تآمـروا لخيانته قبل وقت قصير، عندما كـان يمضي الليل في ساوثورك Southwark, وفعل هذا من باب الاحتياط، ثم قام بشكل حكيم بترتيب قواته، وأمر جنوده بربط صلبـان بيضـاء على صـدورهم وعلى ظهـورهم، وذلك ليظهـروا أنهم يقـاتلون من أجل العـدل، وفي الصباح البـاكـر من ذلك اليـوم فاجـىء جيش البارونات أتبـاع الملك الذين ذهبـوا يبحثـون عن الطعام، وقتل عدداً كبيراً منهم.

## المعركة بين بارونات إنكلترا والملك

وتم اخبار الملك باقتراب البـارونات، فقام بالتحرك فـوراً مع جيشه، وذهب نحـو الأمام لمواجهتهم مع أعـلامه وهي منشـورة، وسار أمـامه الشعـار الملكي، المحمـول على تنين،وذلك بمثابـة إعلان بنفسـه رسـالة الموت، وكـان جيشـه مقسماً إلى ثلاث كتـل، وكـانت الكتلة الأولى تحت قيـادة ابنه الأكبر ادوارد، مصحـوباً بـوليم دي بلنسيـة، وايرل بامبروك، وجـون دي وارني —ايرل سري Surrey وسسكس Sussex, وكـانت الكتلة الثانيـة تحت قيـادة ملك ألمانيا وابنه هنري، في حين قـاد الملك هنري نفسه الكتلة الثـالثة، وكـان جيش البارونات مقسماً إلى أربع

فرق، حيث كانت الفرقة الأولى تحت قيادة هنري دي مونتفورت وايرل أوف هارتفورد، وكانت الفرقة الثانية تحت قيادة غيلبرت كلير، وجون فتز— جون، ووليم دي مونشينيل Monchesnil, وتألفت الفرقة الثالثة من اللندنيين، الذين كانوا تحت قيادة نيقولا سيغريف، وقاد الايرل سيمون وتوماس بيلفيدون Pelvedon الفرقة الرابعة، وانقض ادوارد وفرقته على العدو بشدة كبيرة أرغمته على التراجع، حتى قيل بأن عدد الفرسان الذين غرقوا قد بلغ الستين، وفي الحال أرغم اللنديون على الفرار، وقام ادوارد الذي كان متعطشاً لدمائهم، بسبب الاهانة التي وجهوها مؤخراً إلى أمه، بمطاردتهم لمسافة أربعة أميال، وأحدث مذبحة مرعبة بينهم، ولكن بغيابه أضعف كثيراً قوات الملك، وفي الوقت نفسه شاهد بعض قادة جيش الملك علم الايرل على الرابية، فظنوا أن الايرل نفسه كان هناك، فبادروا فجأة مسرعين إلى هناك وقتلوا المواطنين اللندنيين الذين كانوا محبوسين في العربة، وذلك دون أن يعرفوا أنهم كانوا من أصدقاء قضيتهم، ولم يكن خلال هذا الوقت كله الايرل وغيلبرت كلير من دون نشاط، بل صرعوا وقتلوا كل من تصدى لهم، ووجهوا جهودهم كلها بكثافة لأسر الملك وهو حي، وقد سقط عدد كبير من أعوان الملك أمامهم، وأما جون ايرل وارني، ووليم دي بلنسية، وغي لوزغنان وجميع إخوة الملك لأمه، وهوغ بيغود، وحوالي الثلاثمائة فارس مسلحين، فأداروا ظهورهم، وهربوا أمام الحملات الحادة للبارونات، ووقع بالأسر رتشارد ملك ألمانيا، وروبرت بروس، وجون كومين، الذين كانوا قد جلبوا عدداً من السكوتلنديين معهم، أما الملك هنري فبعدما قتل فرسه تحته فقد سلم نفسه إلى سيمون دي مونتفورت، وإثر ذلك بوقت قصير وضع في الدير تحت الحراسة، وقتل عدد كبير من البارونات السكوتلنديين على أرض المعركة في ذلك اليوم، والجنود الرجالة الذين قدموا معهم، فقد تعرضوا للقتل بأعداد كبيرة، وعلاوة على ذلك وقع

بالأسر همفري دي بوهون Bohun, —ايرل هيرفورد، وجون فتز— ألان —ايرل آروندیل، ووليم باردولف Bardolf, وروبرت تيتشل Tatesull, وروجر سومري Somerey, وهنري بيرسي، وفيليب باسيت، ومن جانب الملك قتل رجلا العدالة: وليم ويلتون Wilton, وفولك فتز— وارن، حيث سقط الأول في المعركة، وغرق الثاني في النهر، ومن جانب البارونات سقط هناك رالف هورنغاند Horinganade, وكان بارونـاً، ووليم بلند Blund, وكان حامل راية الايرل، ولقد قيل بأن الخسائر من على الجانبين وضعت مع بعضها، فوصلت إلى خمسة آلاف رجل.

## *كيف رغب البارونات بالتوصل إلى شروط سلام مع الملك*

ولدى عودة ادوارد مع رفاقه بالسلاح من قتل اللندنيين، دون أن يعرف الذي حدث لأبيه، تجول حول البلدة ووصل إلى قلعة لويس، غير أنه لم يجد والده هناك، فدخل إلى الدير، حيث التقى به، وعلم بالذي حدث، وقام البارونات بالوقت نفسه بهجوم على القلعة، لكن الحامية قامت بدفاع فعال، فانسحبوا، وعندما سمع ادوارد بشجاعة الحامية ورجولتها تشجع كثيراً، وأعاد حشد قواته، ورغب في أن يجرب حظه في معركة ثانية، وعندما سمع البارونات بالذي عزم عليه، أرسلوا أشخاصاً للتوسط للسلام، ووعدوا بالتوصل إلى بعض الترتيبات المحددة حول هذا الموضوع في اليوم التالي، وتم التوصل في اليوم التالي بوساطة الرهبان الدومينيكان والفرنسيسكان، أن يتم في اليوم السادس المقبل تسليم ادوارد وهنري نفسيهما إلى الايرل سيمون، بدلاً عن والديهما، ملكي انكلترا وألمانيا، على أمل الحصول على السلام والاستقرار، على شرط أن يجري حوار صحيح حول أي من القرارات والمبادىء ينبغي الالتزام بها لصالح المملكة، وأيها ينبغي إلغاءه، وأن جميع الخسائر من على الجانبين ينبغي التخلي عنها من دون أي تعويض،

وفي يوم السبت التالي أعطى الملك الاذن إلى جميع الذين وقفوا إلى جانب قضيته بالعودة إلى أوطانهم، وكتب بناء على رغبة الايرل سيمون إلى الذين كانوا في حصن تونبردج Tunbridge يأمرهم بالعودة إلى أوطانهم، وأن لايؤذوا البارونات، وقد سمعوا على كل حال بأن اللندنيين الذين هربوا من المعركة قد التجأوا إلى كرويدون Croydon, ولذلك لم يتقيدوا بهذا الأمر، فسلحوا أنفسهم، وانقضوا على ذلك المكان، وقتلوا عدداً كبيراً منهم، وحملوا كميات من الأسلاب، وذهبوا من ذلك المكان إلى بريستول حيث بقيوا في حالة دفاع حتى اطلاق سراح ادوارد، أما بالنسبة لادوارد، فقد جرى إرساله إلى قلعة وولنغفورد من أجل السلامة.

## مآسي وفواجع إنكلترا

كان هذا العام كله مع خمسة أشهر وأسبوعين من العام المتقدم، قد عبروا وسط رعب الحرب، ومحاولة كل واحد وسعيه للدفاع عن قلعته، ونهب كل واحد المنطقة المجاورة، ودمر الحقول، وسلب المواشي لتزويد قلعته بالمؤن من أجل المدافعين عنها، ولم يوفروا لاالكنائس ولاالمقابر، وعلاوة على ذلك تعرضت بيوت أفقر العمال الزراعيين للتفتيش وللنهب، ولحق النهب حتى القش الذي استخدم لحشايا النوم، ومع أن الايرل أعطى أوامر، أنه تحت طائلة الاعدام، أن مامن أحد ينبغي أن يتجرأ على الدخول إلى كنيسة مقدسة أو مقبرة، من أجل النهب، أو التعامل بعنف مع الرهبان أو مع خدمهم، مع ذلك لم يحصل على شيء من هذا الإجراء الحكيم، لأنه لم يتمكن لاالأساقفة، ولارؤساء الديرة، أو أي من رجال الدين بالعبور من بلدة إلى بلدة دون التعرض للسلب على أيدي قطاع الطرق بالليل.

## وصف للسمات العامة للعام

وكان هذا العام، خلاله كله منتجاً بصورة لابأس بها للفواكه، ولطيفاً في المناخ، وصحياً، ولكنه في جميع الأحوال عبر مع الخسارة لانكلترا، بسبب الحرب العامة، واعتقال الملكين، والسلب المؤسف للمقتنيات بشكل علني وسري.

## إجراءات سيمون دي مونتفورت

في عام النعمة ١٢٦٥، الذي كان العام التاسع والأربعين لحكم الملك هنري، الثالث بهذا الاسم منذ الاستيلاء، كان الملك مسجوناً في حبس الايرل سيمون، مع رتشارد ملك ألمانيا، وادوارد الابن الأكبر للملك، وبعض النبلاء الآخرين، وخلال كل من العام الماضي والعام الحالي أخذ الايرل سيمون ملك انكلترا وابنه ادوارد —الذي نقله من قلعة وولنغفورد— إلى حيثما ذهب حتى تمكن من الاستيلاء على جميع القلاع الأكثر حصانة في المملكة، ولكنه من ذلك الحين أبدى نفسه وهو أقل ميلاً للتعامل مع قضية السلام، وفقاً للشروط التي تقدم إعدادها، لأن الملك والمملكة كلها باتت تحت سلطته، وأخيراً وضع ملك الرومان في برج لندن، ووضع ادوارد وهنري، ابني الملكين، قيد الاعتقال في قلعة دوفر، وأخذ ملك انكلترا معه دوماً حيثما ذهب، هذا وكانا حيثما ذهبا وإلى أي مكان وصل، كان يستقبل دوماً بالتشريف، وذلك كملك، وأبدى الايرل نحوه كل نوع من أنواع الاحترام.

## إجراءات أهل التخوم مع ويلز

قام في الوقت نفسه، عدد كبير من الفرسان الشجعان والمتميزين كان من بينهم روجر مورتيمير Mortimer, وجيمس أندلي Andeley, وروجر ليبورن Leybourne, وروجر دي كليفورد Clifford, وإيمون لى استرانج، وهوغ دي توربيفيل

Turbeville, وعدد آخـر، فأعلنوا عن سخطهم على هذه المعاملة للملك ولأولاده، وثاروا ضد ايرل ليستر بموافقـة عامة، ولكي يضبط وقاحتهم اتخذ الايرل سيمون للويلين —أمير ويلز حليفاً له، ودخل إلى قلعـة هيرفـورد، وأخـذ معـه سجينه ادوارد من دوفـر، ثم إنه استرد الاستيـلاء على قلعـة هي Haye, التي كـانت عـائـــدة إلى ايرل هيرفـورد، واستولى على قلعـة لودلو Ludlow, وبعـدما اجتـــاح أراضي روجـر مـورتيمير، زحف نحـو مـونتغمـري Montgomery, وفي ذلك المكان عقـد سـلام بين الايرل سيمون، والنبـلاء الذين تقـدم ذكـرهم، حيث قـدم النبـلاء رهائنهـم، وبعـد هذا، زحف الايرل نحـو المناطق الجنوبية من انكلترا، بقصـد مواجهة فـرقة من الجنود، روي بأنها كانت قادمة لمساعدة الملك.

## *كيف جرى إرسال نائب بابوي تولى حرمان البارونات كنسياً*

في هذا الوقت نفسه تأثر البابا أوربان من الحالة المضطربة في انكلترا، فأرسل كاردينـال أسقف سابينو Sabino, بمثابة مندوب بابوي إلى تلك البلاد، لكن أسطول الموانىء الخمسة كان محتلاً وحارساً لجميع المنافـذ إلى انكلترا بوسـاطة البحـر، ولذلك بعث وراء بعض الأسـاقفـة للقـدوم إليـه، فقـد أرسل إليهم أولاً للقـدوم إلى اميـان Amiens, وبعد ذلك إلى بولون، وعهد إليهم بالاعلان ومن ثم تنفيذ قرار الحرمان الكنسي، والحرمـان مـن شراكـة المؤمنين، الصـادر بمـوجب السلطات البـابوية ضد مـدينة لندن، والموانىء الخمسـة، وأيضاً ضـد جميع مثيري الاضطراب وتعكير سـلام ملك انكلترا، ومع هـذا استخف الأسـاقفـة بالقضيـة وراوغـوا حـولها، ومـا من شيء مؤكـد كـان معـروفـاً، مع أن مواقف عدة وآراء متنوعة جرى التعبير عنها، بطرق مختلفة، حول سبب سلوكهم وتصرفهم.

## *الخلاف بين الإيرل سيمون وغيلبرت دي كلير*

وفي هذا العام، عندما كان ادوارد ابن الملك مايزال في السجن في قلعة هيرفورد، نشب خلاف بين سيمون ايرل ليستر وغيلبرت دي كلير، وكان سبب ذلك هو كما يلي: لم يكن ايرل أوف ليستر قانعاً بالاحتفاظ بملك انكلترا في سجنه، بل استولى على قلاع الملك ووضعها تحت سلطته، ورتب شؤون المملكة كلها حسب ارادته، والذي كان السبب الرئيسي للخلاف، هو أنه ادعى لنفسه وحصر بها وحدها إجراءات المملكة ومنافعها، ومبالغ فداء الأسرى وجميع الموارد المتوجبة الأخرى، وهذا كله كان من المفترض اقتسامه بالتساوي بينهما، وبدا أيضاً أنه نظر نظرة استخفاف إلى أولاده، الذين أصبحوا متجبرين، وكانوا الآن وراء الإعلان عن مبارزة سوف تعقد في دنستيبل ضد ايرل غلوستر، وقد جاء إليها اللندنيون وعدد كبير من الفرسان، والرجال المقاتلين، وعندما سمع والدهم بهذا، وبخهم على وقاحتهم، وفرض عليهم الاقلاع عن إجراءاتهم، وهددهم أنهم إذا لم يطيعوا أوامره، فسوف يضعهم في مكان لن ينتفعوا فيه من رؤية الشمس أو القمر.

وعندما سمع ايرل غلوستر بهذا المنع، غضب فوق حدود المعقول، ووجد الذين عملوا الاستعدادات من أجل المبارزة المذكورة صعوبة في تحمل أن يروا أنفسهم وقد حيل بينهم وبين مقاصدهم، وكان المصدر الأعظم للغضب هو النفقات الكبيرة التي تحملوها في هذا المجال، وقد نفسوا عن حنقهم ضد الايرل، وقالوا إنه أمر مضحك ومزعج أن يقوم أجنبي بامتلاك الوقاحةعلى امساك سيادة المملكةكلها بين يديه، وكان مما زاد غضب غيلبرت أنه عندما سأل سيمون المذكور ورجاه أن يسلمه ملك ألمانيا وبعض الأسرى الآخرين الذي جرى اعتقالهم من قبله (غيلبرت) ومن قبل أتباعه، رد سيمون رداً موجزاً بالرفض أن يفعل ذلك، ولهذا السبب تحولت الصداقة السالفة بينهما إلى كراهية، وتفجر

الخلاف وتصاعد إلى درجة أن غيلبرت لم يعد يقيم تقديراً لالقسمه، ولالإخلاصه للقضية، ولم يعد هناك شيء يمكن أن يهدئه، وعلاوة على ذلك دافع غيلبرت عن جميع النبلاء الفرسان للتخوم (الذين تقدم ذكرهم أعلاه) الذين أمر الايرل سيمون بموجب مرسوم أعلنه، بوجوب طردهم من المملكة، وقام غيلبرت بمراسلتهم، واستمالهم إلى جانبه بالتحالف معهم، وازداد تحالفهم بانضمام جون دي وارني—ايرل سري وسسكس، ووليم دي بلنسية —ايرل بمبروك Pembroke, الذي وهو على طريقه إلى المقاطعات الغربية من ويلز، نزل في بمبروك.

وعند ذلك أخذ الايرل سيمون الملك معه، وانطلق نحو هيرفورد، فجمع فرقة كبيرة من الجنود، مع نية اخضاع الفرسان الذين تقدم ذكرهم بقوة السلاح، وجرت في الوقت نفسه مساعي من قبل بعض الأساقفة، لإعادة ايرلي ليستر وغلوستر إلى سالف حالة الصداقة والوحدة بينهما، لكن ذلك كان بلا محصلة.

وفي هذا الوقت عندما كانت الأمور على هذا الوضع، حصل ادوارد ابن الملك الذي كان موضوعاً في السجن في قلعة هيرفورد، على اذن من حراسه، ليقوم بتمارين في الحقل خارج المدينة، وليفرج عن نفسه ويسليها بتجريب سرعة خيولهم، وفي إحدى المناسبات، بعدما قام بتجربة عدد من الخيول، وبعد اتعابه لهم، اختار أخيراً واحداً جيداً، حيث امتطاه، وحثه على الاسراع بمهمازيه، وقال وداعاً لحراسه، وعبر نهر وير Wear, وكان مرافقاً باثنين من الفرسان، وبأربعة من الأتباع، الذين كانوا على دراية بنواياه، ووجه طريقه إلى قلعة ويغمور Wigmore, وطارده حراسه، لكنهم حين شاهدوا رايتي روجر مورتيمير، وروجر دي كليففورد، اللذان كانا قادمين لمساعدة ادوارد في فراره، لم يعد بإمكانهم المطاردة وعادوا إلى هيرفورد، ووقعت هذه الوقائع عشية عيد التثليث، وجرى الاعداد لها بالتشاور مع، وبمساعدة الفرسان الذين تقدم ذكرهم.

## إجراءات سيمون وإدوارد

وهكذا وقد تخلص ادوارد من سجنه، قام بحشد جيش كبير، لأن أعداداً كبيرة تدفقت على الالتحاق به، ودخلت كونتيات: هيرفورد، ووورکستر، وسالوب Salop وشيستر بتحالف معه، وتدفق سكان البلدات، والقرى، والمدن، والقلاع للانضواء تحت رايته والانضمام إليه، فقام على الفور بحصار مدينة غلوستر، التي كان الايرل قد استولى عليها مؤخراً، وترك حامية فيها، فرت الآن إلى القلعة، ولكن بعد حصار لمدة خمسة عشر يوماً سلموا القلعة إليه أيضاً، ولتقديمهم يمينهم أنهم لن يحملوا السلاح ضد ادوارد في المستقبل، سمح لهم بالمغادرة وهم أحرار، وهاجم ايرل ليستر في الوقت نفسه قلعة مونماوث Monmouth, التي كان ايرل غلوستر قد استولى مؤخراً عليها وحصنها، وبعدما أرغم الحامية على الاستسلام، هدم القلعة وسواها بالأرض، ثم إنه دخل إلى غلامورغانشاير Glamorganshire, في أراضي ايرل غلوستر المذكور، وبما أنه التقى بأمير ويلز مع مساعدة، تمكن المقدمان من اجتياح المنطقة كلها بالنار وبالسيف، وسمع ادوارد في الوقت نفسه أن كثيراً من شيعةالايرل سيمون، قد تدفقوا مع بعضهم إلى قلعة كنيلوورث Kenilworth ولذلك ضم قواته إلى قوات ايرل غلوستر، وانطلق زاحفاً من ووركستر في المساء، فوصل إلى ذلك المكان بزحف قوي، وانقض على المكان فجأة، فأسر ايرل اكسفورد، وحوالي الثلاثة عشر فارساً من ذوي الرايات، قبل أن يتمكنوا من الدخول إلى القلعة، التي كان سيمون ابن الايرل سيمون قد أغلقها على نفسه وتحصن بها، أما سيمون ايرل أوف ليستر، الذي احتفظ دوماً بالملك برفقته، فقد عاد من جنوب ويلز، ووصل يوم عيد القديس بطرس في الأغلال إلى كمبسي Kempsey, وهي مزرعة كانت عائدة إلى أسقف ووركستر، وأقام هناك في اليوم التالي، وعاد ادوارد

وقتها من كنيلوورث إلى ووركستر، التي كانت تبعد ثلاثة أميال فقط عن العزبة المتقدم ذكرها، ولدى سماع سيمون بوصوله إلى هناك، ابتعد مع الملك عند بداية الليل، وعسكر في بلدة ايفهام، حيث انتظر قدره غير السعيد، لأنه في اليوم التالي، وهو اليوم الذي عثر فيه على القديس اسطفان، تحرك ادوارد من ووركستر، وعبر النهر قرب بلدة كلين Claines, وقطع إمكانية اتصال الايرل بابنه الذي كان في قلعة كنيلوورث، ومنع أية فرصة، أوإمكانية اللقاء بين الأب وابنه، وزحف في اليوم التالي حتى بات قريباً من بلدة ايفهام، هو من الجانب الأول، وايرل غلوستر وروجر مورتيمير قد قدما كل لوحده من الاتجاهين الآخرين، وهكذا بات ايرل ليستر مطوقاً من جميع الجهات، وبات تحت ضرورة التسليم عن طواعية، أو انشاب القتال معهم.

وفي الخامس من آب، الذي وقع في اليوم الثالث من الأسبوع، التقى الجيشان في سهل واسع خارج البلدة، حيث أعقب ذلك صراع جاد، واستمر ذلك حتى بدأ أتباع الايرل بالتراجع، ووقع ثقل القتال عليه، وقد قتل على أرض المعركة، وعند مقتله هبت عاصفة من الرعد والبرق، وانتشر الظلام على مساحة واسعة، وقد أصيب الجميع بالدهشة، وسقط هناك إلى جانب الايرل في تلك المعركة اثني عشر فارساً من حملة الأعلام، وهم: هنري ابنه، وبطرس دي مونتفورت، وهوغ ديسبنسر Despenser رجل العدالة لانكلترا، ووليم دي ماندفيل، ورالف باسيت، وولتر دي كرسبغني Crespigny, ووليم يورك، وروبرت تريغور Tregor, وتوماس هوستلي Hostelee, وجون بيوشامب Beauchamp, وغي بالأويل، وروجر دي رولي Roulee, وعدد كبير آخر من ذوي المراتب الأدنى، وكذلك من الأتباع، والرجالة، وكانت الخسارة الكبرى بين الويلزيين، وهكذا انتهت جهود ذلك الرجل النبيل ايرل سيمون،

الذي لم يقدم ممتلكاته فقط، ولكن شخصه أيضاً للدفاع عن الفقير ضد الظلم، وللحفاظ على العدل وعلى امتيازات، المملكة، وكان متميزاً بعلمه، وبمواطنته وصرفه انتباهه لتأدية الواجبات الدينية، فذلك كان يشكل سروراً له، وكان معتدلاً ومقتصداً، وكان من عاداته ممارسة السهر في الليل، مفضلاً ذلك على النوم، وكان جريئاً في الكلام، وله مظهر حاد، وقد وضع ثقة كبيرة في صلوات الرهبان، وقدم دوماً احتراماً عظيماً للاهوتيين، وسعى للالتزام بنصائح القديس روبرت الذي كنيته غروستيت Grosstete —أسقف لنكولن، وعهد إليه لتربيتهم، عندما كانوا صغاراً جداً، وعلى نصيحة ذلك الأسقف اعتمد أثناء ترتيبه للمسائل الصعبة، ولدى محاولته القيام بمخاطرات مشكوك بها وصعبة، وفي انهاء ماكان قد بدأ به، ولاسيما القضايا التي أمل أن يزيد بها من فضائله، ويروى بأن ذلك الأسقف نفسه قد فرض عليه أن يتبنى هذه القضية من أجل الحصول على عفو من ذنوبه، وفعلاً التزم بها وقاتل حتى الموت، معلناً أن سلام كنيسة انكلترا، لايمكن تأسيسه بثبات إلاّ بوساطة السيف، ومؤكداً له بصورة ايجابية، أن كل من سيموت من أجله سوف يتوج بالشهادة، وذكر بعض الأشخاص، علاوة على ذلك، أن الأسقف وضع في إحدى المناسبات يده على رأس الابن الأكبر للايرل وقال له: «ياولدي العزيز، أنت مع أبيك ستموتان في يوم واحد، وبنوع واحد من الموت، لكن ذلك سوف يكون في سبيل العدل والصدق»، ومضت التقارير إلى القول أن سيمون، تميز بعد وفاته، بعمل عدد من المعجزات، وهي معجزات لم يتم الاعلان عنها واشهارها، خوفاً من الملك.

## *كيف أعطى إدوارد الأوامر بدفن الموتى*

وبعدما حصل ادوارد على هذا النصر المبكي، أعطى أوامره إلى رهبان ذلك المكان بدفن أجساد الموتى، ولاسيما الذين كانوا من المراتب العليا،

وأن يكـون ذلك بشكـل لائق، وحضر شخصيـــــاً جنازة هنـري دي مونتفورت، الذي كان والده الملك قد أمسكه عند جرن المعمودية عندما جرى تعميـده، والذي نشأ معه وتربـى، وقد أحبه، لأنه رافقـه منذ أيام الطفولة.

وقال بعضهم أنه قبل المعركة المذكـورة، خرج سيمون إلى خارج بلدة ايفشام، وشـاهد بأية حكمة وبراعة جـرت تعبئة صفوف أعدائـه، فقال لمرافقيـه: «بحق ذراع القـديس جيمس (هكذا كـان قسمه المعتـاد) إنهم يقتربون بحكمـة، ولقد تعلمـوا هذه الطريقـة مني، وليس من أنفسهم، لذلك دعونا نوصي بنفوسنـا إلى الرب، لأن أجسادنا سوف تكون لهم»، كما أنه حث هوغ دسبنسر و رالف باسيت مع آخرين على الفـرار وانقاذ أنفسهم من أجل أوقـات أفضل، لكنهم قـالوا بأنهم لايودون العيش إذا مامـات هو، وبعد مقتله قطـع أعداؤه رأسه، وقـدميه، ويديه، مضـادين ومخالفين بذلك جميع قـوانين نظام الفـروسيـة، وقـدم رأسـه إلى زوجـة روجر مورتيمير التي كانت مقيمة في قلعة ووركستر.

وأصيب الملك في هذه المعـركة بجراحـة من ضربة رمح قـذف نحوه من دون قصـد، فصـار في خطر فقدانه حيـاته، وبهذا النصر أعـاد الملك تأسيس سلطتـه الملكيـة، وبناء على نصيحـة ابنه المنتصر دعـا إلى عقـد بارلمان في وينكستر، في عيـد ميـلاد العـذراء المجيـدة، وقـام في هذا البـارلمان— بعـد التشـاور، بتجـريـد لندن، بسبب أعمال عصيـانها، من حـرياتها القـديمة وامتيـازاتها، وأمـر بمقدمي العـاملين ضـد السلطات الملكيـة بالالقاء بالسجن، انتظاراً لرضـاه، وفي يوم عيد القـديس ادوارد جرد جميع الـذين وقفوا إلى جانـب الايرل سيمون ضد مـولاهم الملك، من أمـلاكهم ومـواريثهم، ومـالبث بعـد ذلك أن أعطى أراضيهم، إلى الذين وقفـوا مخلصين إلى جانب الملك، معـوضـاً كل واحد منهم وفقـاً لاستحقـاقـاته، ولذلك قـامت الفئـات المحـرومـة بالتجمع مع بعضهـا

بعضاً، وانخرطت في أعمال النهب والسلب في جميع الاتجاهات، وكان على رأس الذين حرموا: سيمون، وغي، ولدي الايرل سيمون دي مونتفورت، وسمح لزوجة الايرل بالمغادرة وهي تمتلك حريتها، مع جميع مقتنياتها، وتبسلمت أماناً من ادوارد، وبناء عليه عادت إلى بلادها الأصيلة، ولم تعد.

## *الوقائع في بلدة القديس ألبان*

وفي هذا الوقت كانت بلدة القديس ألبان، مدافع عنها بقوة، والأبواب أمينة ومحكمة الاغلاق بالحواجز والأقفال، من كل من الداخل والخارج، بسبب الخوف الذي أوحت به الحرب، وجرى منع الدخول إليها إلى جميع المسافرين، خاصة إلى الفرسان، ثم إن غريغوري ستوك Stock عمدة هارتفورد، استاء من شجاعة شعب بلدة القديس ألبان، وتبجح متفاخراً بأنه سوف يدخل إلى البلدة مع ثلاثة شبان فقط، دون المبالاة بالأقفال والحواجز، وأنه سوف يعتقل ويحمل معه إلى هارتفورد أربعة من أعلى فئات المواطنين، وفي سبيل تنفيذ هدفه دخل إلى البلدة، وأخذ يسعى في جميع الاتجاهات مثل إنسان فقد عقله، وكان يلقي بنظره هنا وهناك، وكأنه كان على وشك تنفيذ خطة عظيمة، وأخيراً قال لواحد من الشباب الذين كانوا بصحبته: «كيف حركة الريح؟»، وبناء عليه سمع جزار كلماته، فظن أنه يريد إحراق البلدة، فقال: «سوف أعلمك كيف تتحرك الريح»، وقام على الفور بتوجيه ضربة له على وجهه بقوة جعلته يسقط على الأرض، ثم إنه جرى اعتقاله مع الشباب الذين كانوا معه، ووضعوا بالأغلال، وفي الصباح تم قطع رؤوسهم من قبل الجزارين، ووضعت رؤوسهم على أربعة أعمدة عالية، نصبت في الزوايا الأربعة للبلدة، وعندما سمع الملك بهذه الإجراءات، وضع غرامة على المدينة مقدارها مائة مارك، حيث جرى دفعها على الفور.

## مذنب غير اعتيادي

وظهرفي هذا العام مذنب مدهش، لم يشاهد مثله من قبل، وقد ظهر في الشرق مع اشعاع كبير، واتخذ طريقه نحو الغرب نحو وسط السماء، مضيئاً جميع أجزاء السماء التي عبر بها في طريقه، ومع أنه مما لاشك فيه أنه بشر بوقوع كثير من الوقائع في مختلف أنحاء العالم، هناك شيء واحد مؤكد، هو أنه عندما ظهر للمرة الأولى، وقع البابا أوربان مريضاً وفي الليلة نفسها التي مات فيها، اختفى فيها هذا المذنب، وذلك بعدما بقي لمدة ثلاثة أشهر، ومات ذلك الحبر في باريس، وقد دفن هناك.

## البابا كليمنت السادس

وقد خلفه البابا كليمنت السادس، الذي كان من مواليد بروفانس، وكان متزوجاً من قبل، له زوجة وأولاد، وكان محامياً مشهوراً ومستشاراً لملك فرنسا، وقام بعد وفاة زوجته، بسبب حياته الجيدة، وتميزه العلمي في المقام الأول، فصار أسقفاً لمنطقة بوي Puy, وبعد ذلك رئيساً لأساقفة نربون، وجرت ترقيته بعد وقت قصير إلى مرتبة كاردينال، وصار أسقف أوف سابينو، وجرى إرساله إلى انكلترا نائباً عن البابا أوربان، لإعادة تأسيس السلام هناك، وجرى انتخابه بابا أثناء غيابه.

وازدهر في هذه الآونة في باريس: توماس أكوينا Aquinas وبونافينتشرا Bonaventura وباتا عالمين مشهورين، وكان الأول بينهما من طائفة الدومينيكان، أما الثاني فكان من طائفة الفرنسيسكان.

## مقتل خمسين من قطاع الطرق على أيدي الفلاحين

وفي هذه الآونة شق خمسون رجلاً جريئاً، مسلحين بالسيوف والقسي، طريقهم إلى داخل دير الراهبات في القديس جايل دي بوي

Bois, قرب بلدة القديس ألبان، وبعدما نهبوا مقتنيات النساء الفقيرات المقيمات هناك، واقتراف جرائم كبيرة أخرى، غادروا وهم محملين بالأسلاب، وعندما كانوا متحركين باتجاه دنستيبل، لحقهم رجل وهو يصرخ وينفخ بالبوق، ولدى سماع الصوت اجتمع جميع سكان الجوار واحتشدوا، وأخبروا بأن «هؤلاء الأشخاص قد سلبوا دير راهبات دي بوي، واقترفوا كثيراً من الجرائم هناك»، ومدهش أن تروي بأن جميع اللصوص قد أصيبوا على الفور، وأصبحوا وكأنهم غير قادرين على الكلام، كما أنهم أصبحوا عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، ولم يتوفر واحد منهم كان باستطاعته رفع يده لتجريد سيفه، أو أن يفوّق قوسه، فإلى هذا الحد كان الانتقام اللاهوتي قد أثير ضدهم، ونتيجة لذلك صرعوا، وجميعهم تم قتلهم على أيدي الفلاحين، ومات بعض الذين هربوا باخفاء أنفسهم في التخوم من الجوع.

## *كيف جرى تتويج شارل أخو ملك فرنسا ملكاً على صقلية*

وفي هذا العام نفسه، جرى ارسال أوتوبون Ottobon الكاردينال الشماس الحامل للقب القديس أدريان Adrian إلى انكلترا، من قبل البابا كليمنت بمثابة نائب بابوي، وسافر شارل أخو ملك فرنسا إلى روما، حيث جرى تتويجه ملكاً على صقلية من قبل البابا كليمنت، ووصل عدد كبير من الفرنسيين الذين حملوا الصليب ضد مانفرد إلى روما، تحت قيادة غي أسقف أوكسيري Auxerre, وروبرت ابن كونت فلاندرز، وبوكارد Boucard كونت فيندوم Vendome, لتقديم المساعدة إلى شارل.

## *مقتل الويلزيين*

في هذا العام، وفي يوم الأحد قبل معركة ايفهام نزل حشد من الويلزيين تحت قيادة وليم بيركلي Berkeley وكان فارساً نبيلاً،